قسم اللغة العربية

محاضرات
فـــي اللـغـــة العـربـــية
إعداد
دكتوره / منى ربيع بسطاوى
استاذ الادب العربى بكلية الآداب بقنا

الفرقة الأولى // الفلسفة

2023/2022م

أولاً: الأدب

مـــاهـــية الأدب:

معنى الادب فى لسان العرب :الادب الذى يتأدب به الأديب من الناس سمى أدباً لأنه يأدب الناس الى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة ، وتقول: لقد أدبت أدب أدباً حسناً وأنت أديب وقال أبو زيد :أدب الرجل يأدب أدباً فهو أدب وأرب أرابه وأرباً فى العقل فهو أريب غيره الادب أدب النفس والدرس والأدب الظرف.

معنى (أدب)فى الصحاح فى اللغة الادب : أدب النفس والدرس تقول منه :أدب الرجل بالضم فهو أديب وأدبته فتأدب وابن فلان قد استأدب فى معنى تأدب والادب :العجب والادب أيضاً :مصدر أدب القوم يأدبهم إذا دعاهم الى طعامه والادب الداعي ، ويقال أيضاً :أدب القوم الى طعامه يؤدبهم إيدباً واسم الطعام المأدبة والمأدبة.

معنى أدب فى المعجم الوسيط أدبا :صنع مأدبة والقوم :دعاهم إلى مأدبته القوم وعليهم : صنع لهم مأدبة وفلاناً :راضه على محاسن الأخلاق والعادات ودعاه الى المحامد أدب فلان: أدباً :راض نفسه على المحاسن.

تطور مفهوم الادب العربى:لم تطلق كلمة الادب على الشعر والنثر –كما هو متعارف عليها الآن –منذ بداية عصور الادب العربى ؛ وإنما مرت اللفظة بتطور واختلف معنى كلمة (أدب) باختلاف العصور الأدبية ، ويتضح ذلك على النحو:

-الادب فى العصر الجاهلي:

استخدمت كلمة (أدب) فى هذا العصر بصيغة اسم الفاعل (أدب) بل عرفت فى معنى ضيق جداً ، وهو الدعوة الى الطعام والوليمة ؛ وهذا ما يتضح من قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد(1):

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر(2)

يفتخر الشاعر بكرمه من خلال إقامة المآدب فى الشتاء وتوجيه الدعوة لكافة الناس دون أن ينتقر اى يختار الداعى الى الطعام أشخاص بعينهم ؛ فالجلفى هنا هى الدعوة العامة لكل عابر سبيل ؛ ومن ثم فالأدب هو الداعي الى الطعام.

-أما فى عصر صدر الاسلام :

فقد اتخذ اللفظة معنى آخر ورد هذا المعنى في مصدر التشريع الثاني وهو السنة النبوية ؛ فكان معنى كلمة (أدب) هو التهذيب والأخلاق ، ويتضح ذلك من خلال

(1) طرفة بن العبد هو شاعر جاهلي عربي من الطبقة الاولى وهو مصنف بين الشعراء المعلقات وقيل اسمه طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد أبو عمرو لقب بطرفة وهو من بنى قيس بن ثعلبة ولد حوالى سنة 543هـ من ابوين شريفين وكان له من نسبه العالى ما يحقق له هذه الشاعرية فجده وأبوه وعماه المرقشان وخاله المتلمس كلهم شعراء مات ابوه وهو بعد حدث فكفله أعمامه إلا أنهم أساءوا تربيته وضيقوا عليه فهضموا حقوق أمه وما كاد طرفه يفتح عينيه على الحياة حتى قذف بذاته في أحضانها يستمتع بملذاتها فلها وسكر ولعب وأسرف فعاش طفولته مهملة لاهية طريدة راح يضرب في البلاد حتى بلغ أطراف جزيرة العرب ثم عاد الى قومه يرعى إبل معبد اخيه ثم عاد الى حياة اللهو ، بلغ في تجواله بلاط الحيرة واتصل بالملك عمر بن هند فجعله في ندمائه ، ثم ارسله بكتاب الى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله المكعبر شاباً دون الثلاثين من عمره سنة 569هـ.

(2) طرفة بن العبد: ديوانه ص51 تحقيق : عبدالرحمن المصطاوى ،دار المعارف ،بيروت، لبنان ،ط 2003م.

قول النبي صلى الله عليه وسلم –فى حديثه الشريف: أدبني ربى فأحسن تأديبي أي هذبني وعلمني

وفى العصر الأموي:

اتسع مدلول كلمة كلمة أدب في عصر بنى أمية فبجانب تهذيب السلوك وسمته التربوية التهذيبية في عهد النبوة ؛أصبحت تدل على معنى تربوي تعليمي تثقيفي وتهذيبي ؛ حيث ظهرت في العصر الأموي شخصية (المؤدب)وهو المعلم أو الاستاذ الذى كان يختاره الخلفاء والامراء ومن في حكمهم لتعليم أبناءهم وتهذيبهم وكان ذلك التعليم شاملاً لكل علوم العصر كافة لتتساوى كلمة ادب فى هذا العصر مع كلمة علم ؛من ثم يلاحظ التطور الدلالي للكلمة من معناها المادي فى العصر الجاهلي الى معناها الخلقي فى عصر صدر الاسلام ،ثم معناها التعليمي فى العصر الأموي.

–ثم فى العصر العباسي:

جاء مدلول كلمة أدب فى العصر بشكل من البسط والدمج بين مدلولها فى العصور السابقة خاصة بين عصرى صدر الاسلام والأموي فأصبحت تشتمل على المعنى التهذيبي والتعليمي ولعل ما ورد عند ابن المقفع لخير دليل على ذلك فى كتابيه الادب الصغير والادب الكبير وهما فى السياسة والاخلاق وفى اواخر القرن الثانى الهجرى ومع بزوغ شمس القرن الثالث الهجرى يولد للكلمة مدلول

جديد يكاد يصل بالادب الى معناه المعروف الان وهو الشعر والنثر وأول من قالها الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب العروض المتوفى سنة(175هـ) وذلك فى قوله كما جاء فى المضاف والمنسوب للثعالبى (حرفة الادب آفة الادباء) ؛لانهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء التكسب والمنالة وذلك فى حقيقة معنى الحرفة على اطلاقها وها هو الشاعر الكبير أبوتمام(131هـ/845م) يطلق على كلمة (أدب) الشعر ؛ إذ خص باباً كاملاً فى ديوانه الحماسة وأطلق عليه باب الادب ،جمع فيه مختارات من طرائف الشعر.

-ابن خلدون(ت808هـ-1405م) وتعريفه للأدب:

لا شك أن تعريف ابن خلدون للأدب فى كتابه المقدمة يقترب كثيراً مما اصطلح عليه العلماء من وضع تعريف للأدب ؛ حيث أورد تعريفاً شاملاً حين قال الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والاخذ من كل علم بطرف

-تعريف الادب فى العصر الحديث:

اتخذ الادب فى العصر الحديث منذ اواسط القرن الماضى معنيين (عام-وخاص) أما المعنى العام يدل على كل ما يكتب فى اللغة مهما يكن موضوعه وأسلوبه أى :كل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدباً سواء أكان أدباً محصناً أو علماً من العلوم الاخرى كالفلسفة مثلاً.

معنى خاص هو الادب الخالص الذى يخرج بالكلمة من التعبير المجرد الى الاسلوب الجمالى الفنى بحيث يؤثر فى عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف فى الشعر والنثر وألوانه كالخطابة والامثال والقصص والمسرحيات والرسائل وغير ذلك من فنون نثرية .

وبالتبعية راح علماء اللغة والادب يضعون تعريفات للأدب لا تكاد تخرج عن معناه الذى يضم الشعر والنثر ومن هذه التعريفات وتلك ما جاء به الدكتور شوقى ضيف حين قال عن تعريف الادب :هو (الكلام الانشائى البليغ الذى يقصد به الى التأثير فى عواطف القراء والسامعين أكان شعراً أم نثراً) .

لمحة عن الشعر العربى :

يمثل الشعر العربى لونا أدبيا يقوم على العاطفة والتجربة التى خاضها الشاعر معتمداً على الوزن والقافية ولقد تعددت التعريفات حول الشعر العربى منذ القدم ومن هذه التعريفات ما قدمه قدامة بن جعفر ؛ حيث يعرفه بأنه هو: لفظ موزون مقفى يدل على المعنى(3)ومن ثم يتحد الوزن والقافية فى ذلك شريكة الوزن فى الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية(4)

ويرى ابن خلدون فى مقدمته ان الشعر هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات

(3) قدامة بن جعفر:نقد الشعر ص6-ط1 ،مطبعة الجوانب ،فلسطنية،1302هـ

(4) ابن رشيق: العمدة،ص151-ج1

عندهم بيتاً ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه روياً وقافية ويسمى جملة الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت بإفادته فى تراكيبه ، حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ،وإذا أفرد كان تاماً فى بابه فى مدح أو نسيب أو رثاء.

وقد التزم الشعراء قديما بالوزن والقافية فكان الشعر العمودى الذى يعتمد على شطرى البيت الواحد ، ولكن بعد ذلك تحرر الشعراء من قيود الوزن والقافية وظهرت أنواع أخرى للشعر لا تعتمد عليهما ؛ ومن ثم جاء الشعر الحر متحررا من الوزن والقافية والشعر المرسل متحررا من القافية محتفظاً بالوزن.

تناول الشعر العربى أغراضاً كثيرة ،استطاع الشعراء من خلالها رسم ملامح مجتمعاتهم معبرين عما تجيش به عواطفهم من أحاسيس ومشاعر تجاه المخاطب وتجاه النفس ، فكان من أهم هذه الاغراض :المدح، الهجاء، الرثاء، الفخر، الوصف ،الغزل، الاعتذار ، الحكمة ، وقد اشتملت القصيدة العربية على اكثر من غرض فهى تبدأ بالغزل والوقوف على الاطلال وذكر الديار ثم وصف الصحراء التى قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقته وكل ما رأى أثناء رحلته، ثم يشرع فى الغرض الذى أنشأ القصيدة من أجله من حماسة أو رثاء أو مدح أو فخر، أو اعتذار.

لمحة عن النثر(5):

ورد فى لسان العرب أن :النثر نثرك الشئ بيدك ترمى به متفرقاًمثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا بدر وهو النثار، وقد نثره ينثره نثراً ونثاراً، فالمعنى اللغوى كما هو واضح يعنى الشئ المبعثر المتفرق ، الذى لا يقوم على اساس فى تفرقه وبعثرته أى :لا يقوم على اساس من حيث الكيف والكم او الاتساع.

النثر:هو أحد قسمى الادب الانشائى وهو نوعان:

1-ما يدور فى كلام الناس أثناء المعاملة وهذا ليس من الادب فى شئ

2-النثر الفنى: وهو الذى يحتوى الافكار المنظمة تنظيماً حسناً والعروضة عرضاً جذاباً حسن الصياغة جيد السبك مراعى فيه قواعد النحو والصرف.

والنثر الفنى ينقسم بدوره الى خطابه وعمادها اللسان وكتابة فنية وعمادها القلم والخطابة هى فن مخاطبة الجمهور الذى يعتمد على الاقناع والاستمالة .

أما الكتابة الفنية فقد حصرها بعض الادباء بأوربا فى الوصف والقصص لأن الباعث على الكتابة إما أن يكون الرغبة فى التعبير من جانب عما لاحظه فى العالم حوله من اشخاص او احداث او اشياء باسلوب الوصف أو القصص أو

(5) انظر :ابن منظور لسان العرب ص4339،معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص401،تاريخ الادب الجاهلى ص40 د.عصام خلف وآخرون.

بهما معاً كأن يحكى فى بعض الروايات حادثة ثم يعن له أثناءها أن يصف الاشخاص أو الاحداث أو الاشياء.

ولا يقتصر النثر الفنى على هذا فحسب بل اتسع ليشمل الرسائل والمناظرات ،والجدل والمقامات والحكم والامثال وسجع الكهان فى العصر الجاهلى ، ولعل القصص فى القرآن الكريم لأعظم شاهد على مدى أهمية النثر كلون أدبى مهم.

وسيأتى فى الصفحات القادمة بعض النماذج الادبية بنوعيها الشعرى والنثرى .

عصور الادب العربى :

عكف الادباء والمؤرخون لتاريخ الادب العربى على تقسيم عصور الادب العربى تقسيماً يعتمد على التطور بين الجوانب السياسية التى مر بها العرب والتاريخ الادبى من تأثير وتأثر فعملية التأثير كانت متبادلة بين الامور السياسية والجوانب الادبية مع الوضع فى عين الاعتبار بأن هذا التقسيم ليس معناه الانفصال التام لسمات كل عصر عن الاخر من الناحية الادبية ؛ فالظاهر الادبية قد تكون ممتدة من عصر لآخر بل تحمل السواد الاعظم من سمات العصر السابق لها فنسبة التداخل فى تلك السمات تأتى أشبه بعملية المد والجزر تكثر حيناً وتقل أحياناً لتنتج فى نهاية الامر موروثاً ثقافياً أدبياً تفخر به الاجيال اللاحقة.

وبتتبع المراحل الزمنية التى مر بها الادب العربى يمكن تقسيم عصور الادب العربى على النحو التالى :

1-العصر الجاهلى:

يبدأ هذا العصر مع اول من هلهل بالشعر ، وكان ذلك فى ايام عدى بن ربيعة التغلبى الملقب الزير ابو ليلى المهلهل ؛ فقد سمى بالمهلهل لتهلهله بالشعر وامرئ القيس وقيل: إنه قبل الاسلام بمائة وخمسين عاماً وينتهى هذا العصر بظهور الاسلام.

2-**عصر صدر الاسلام:**

بداية هذا العصر هو ظهور الاسلام ونهايته هى نهاية حكم الخلفاء الراشدين ويعد على بن ابى طالب كرم الله وجهه هو اخر الخلفاء الراشدين.

وإن كانت هناك ثمة تأثر بالادب فى العصر الجاهلى إلا ان الاسلام أخذ من الادب الجاهلى ما يتوافق مع طبيعة الدين الاسلامى ومنهجه فى الحياة ونبذ ما هو مخالف لتعاليم الدين الحنيف.

3-العصر الاموى :

يبدأ هذا العصر سنة41هـ عندما انتقلت الخلافة الى معاوية بن ابى سفيان وينتهى سنة 132هـ عندما انهارت الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وتبرز المذاهب السياسية فى أدب هذا العصر وتقليد الشعر الجاهلى فى بروز العصبية.

4-العصر العباسى:

يبدأ هذا العصر مع بداية الدولة العباسية سنة 132هـ وينتهى بسقوط هذه الدولة سنة 656هـ، وهو عصر طويل لا يمكن أن يدوم فيه الادب على حالة واحدة ؛ ولذلك يقسمه علماء تاريخ الادب الى ثلاثة عصور.

ويتميز العصر الاول بتنوع مادة الادب اما العصر الثانى فقد أينعت فيه ثمار الادب ولكن الصنعة بدأت تسيطر عليه وفى العصر الثالث اعترى الادب الضعف .

5-العصر الاندلسى:

هبت نسائم الفتوحات العربية على الاندلس سنة 92هـ ،إبان الخلافة الاموية على يد القائد موسى بن نصير وفارسه طارق بن زياد ولم يكن الفتح الاسلامى للأندلس سياسياً فقط فقد رحل الى الاندلس كافة طوائف العرب ومن بينهم الشعراء ؛ مما خلق حالة ادبية وفكرية شملت كل مناطق الاندلس بعد أن امتزج العرب بأهل البلاد الاصلين وحدث تبادل للثقافات والمعارف بين اجناس عدة ما بين عربية واسبانية وبربرية ثم مولدين هذه الثقافات التى راح شعراء الاندلس يرشفون من منهلها العذب كلماتهم تزينها طبيعة الاندلس التى امتازت بالسحر والجمال وينتهى هذا العصر بسقوط غرناطة فى 2ربيع الاول عام 897هـ.

6-عصر الدول المتتابعة:

يبدأ هذا العصر باستيلاء التتار على بغداد وينتهى بتأثير الحضارة الاوربية فى الادب العربى وذلك فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى.

ويشمل هذا العصر حكم التتار لشرقى البلاد الاسلامية وحكم المماليك لمصر وحكم الاتراك العثمانين للبلاد الاسلامية وهذه الدول حكامها من غير العرب فهم لا يتذوقون الادب ولا يشجعون الادباء ولذلك تطرقت إليه الركاكة وعدم الوضوح والجمود فى فترات من هذا التاريخ الادبى.

7-العصر الحديث:

يبتدئ هذا العصر بقيام الحركات الاصلاحية فى بعض البلاد العربية فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى كما يعد التأثير الاوربى (سلباً او ايجاباً) فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى ذا أثر فى بعض البلاد العربية كما هو الحال فى سوريا ولبنان ومصر.

كيفية تحليل النص الادبى:

لكل فن أدوات يلجأ إليها الفنان أو المبدع لصوغ فنه بالطريقة التى يجدها مناسبة وتأتى هذه الطريق وفق ملكات كل فنان ومبدع بنسبة متفاوته بينهم ويعد فن الادب احد تلك الفنون المهمة بل يأتى فن الادب (الشعر والنثر) على قمة الفنون وذلك لأنه الفن الوحيد الذى يمتزج فيه الاداة بالعمل فأداة الادب هى اللغة ونتاجه لغة ايضاً ومن ثم كان للغة عند الادباء اهتمام بالغ بحيث ينتقى الاديب ألفاظه المعبرة عما يدور فى نفسه بعناية شديدة معتمداً على حسن الصياغة والإتيان بأبلغ الصور الجمالية موظفاً مواطن الجمال المناسبة التى تخدم الفكرة ويأتى

بالافكار الجذابة والادوات الفنية التى تساعد على فهم النص وتحقيق جذب انتباه القارئ للنص ولما كان الامر كذلك وجدنا أن اى تحليل لعمل ادبى يقوم فى الاساس على النظر للغة وفق محورين رئيسين هما: المضمون والشكل؛ إذ يتحقق من خلالهما مفهوم الوحدة العضوية.

أ_تحليل المضمون:

يعتمد تحليل المضمون فى اى عمل ادبى على الاتى:

1-النظر إلى الفكرة القائم عليها النص ، ويتحقق ذلك من خلال متابعة الفكرة الرئيسية للنص والافكار الفرعية فعبر تتبع الافكار الفرعية يمكن للقارئ الوصول الى الفكرة الرئيسة للنص بشكل ميسر وبتدرج سلس.

2-ثم بعد ذلك العاطفة المسيطرة على الاديب ويجب على المتلقى أن يمعن النظر فى ألفاظ النص وجمالياته ليرى إذا كانت العاطفة مناسبة لموضوع النص أو غير مناسبة.

ب-تحليل الشكل:

يتمثل تحليل الشكل فى النظر الى البناء الفنى للنص وذلك من خلال عدة عوامل تتضح بالنظر الى النص من حيث الطول والقصر وبراعة الاستهلال والاسلوب المتبع فى النص وكذلك سلامة المطلع أو الصور الحسية تعتمد على الحواس الخمس كحاسة السمع أو البصر مثلاً -ثم الموسيقى الداخلية وذلك باستكشاف

آليات كالجناس والتكرار والطباق وغير ذلك من مقومات علم البديع فهى قيم إيقاعية لها اثر واضح فى الدلالة على الفكرة والموسيقى الخارجية وتتمثل فى الشعر فى الاوزان العروضية والقافية ومن ثم نجد أن هذه الادوات تخدم المعنى أو إن صح التعبير تكون تلك العناصر مناسبة ومتوافقة للمضمون فتتناسب الفكرة وتوافق العاطفة ليخرج فى النهاية نسيجاً متكاملاً يشكل نصاً أدبياً بطريقة فنية جيدة.

وسيأتى بإذن الله تعالى أكثر من طريقة لتحليل النص الادبى وفق الشكل والمضمون فى الصفحات القادمة حتى يستطيع الطالب تحليل النص بعدة طرق ممكنة .

قطوف من علم البلاغة :

البلاغة لغة مأخوذة من بلوغ الشئ منتهاه ،قال صاحب اللسان :بلغ الشئ يبلغ بلوغا وبلاغاً وصل وانتهى وبلغه هو ابلاغاً وبلغة تبليغا وتبلغ بالشئ : وصل الى مراده وأمر بالغ وبلغ: نافذ يبلغ أين أريد به وأمر بالغ: جيد والبلاغة :الفصاحة ورجل بليغ وبلغ وبلغ: حسن الكلام فصيحة يبلغ بعبارة لسانه كنه ما فى قلبه والجمع بلغاء وقد بلغ بالضم بلاغة اى صار بليغاً وقول بليغ :بلغ وقد بلغ" والبلاغة فعالة مصدر بلغ بضم اللام كفقه وهو مشتق من بلغ بفتح اللام بلوغا بمعنى وصل وإنما سمى هذا العلم بالبلاغة لانه بمسائلة وبمعرفتها يبلغ المتكلم الى الافصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على

قبول السامع له نفوذه فى نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوى سجية يحاول تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فعل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا علم البلاغة وبيان ان اشتمال الكلام على الكيفيات التى تعارفها خاصة فصحاء العرب فكان كلامهم اوقع من كلام عامتهم وانفذ فى نفوس السامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما ابتكره المزاولون لكلامهم وأدبهم وعلى ما يحسن ذلك مما وقع فى كلام العرب وابتكره المولعون بلسانهم يعد بلوغاً من المتكلم الى منتهى الافصاح عن مراده.

أما اصطلاحا فعلم البلغة هو العلم بالقواعد الى بها يعرف أداء جميع التراكيب حقها وإيراد انواع الشبيه والمجاز والكناية على وجهها وإيداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام.

وقد كان هذا العلم منثوراً فى كتب تفسير القرآن عند بيان إعجازه وفى كتب شرح الشعر ونقده، ومحاضرات الادباء من اثناء القرن الثانى من الهجرة فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 144هـ كتاب مجاز القرآن وألف الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة 344هـ كتباً كثيرة فى الادب وكان بعض من هذا العلم منثوراً أيضاً فى كتب النحو مثل كتاب سيبويه ، ولم يخص بالتأليف إلا فى أواخر القرن الثالث إذ ألف عبدالله بن المعتز الخليفة العباسى(ت 296هـ) قتيلاً بعد ان بويع له بالخلافة ومكث يوماً واحداً خليفة ألف كتاب البديع وقد اودعه سبعة عشر نوعاً وعد الاستعارة منها ثم جاء الشيخ عبدالقاهر الجرجانى الاشعرى

الشافعى(المتوفى سنة471هـ) فألف كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة "واولهما فى علم المعانى والثانى فى على البيان فكانا اول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير مخلصين ولا تامى التنتيب فهما مثل در متناثر كنزه صاحبه لينظم منه عقداُ عند تأخيه فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى المتوفى سنة626هـ الى نظم تلك الدرر فألف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم فى علوم العربية وأودع القسم الثالث منه الذى هو المقصود من التأليف مسائل البلاغة دونها على الطريقة عملية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد وقد اقتبسه من كتابى الشيخ عبدالقاهر ومن مسائل الكشاف فى تفسير القرآن للزمخشرى فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الادباء بعده فى التأليف فى هذا العلم الجليل.

أقسام البلاغة :

ينقسم علم البلغة الى ثلاثة فروع هى (علم المعاني ، علم البيان، علم البديع)

1-علم المعاني :يهتم بالنص أو الحديث كوحدة كلية من حيث الافكار والجمل واتساقها مع بعضها البعض كما يهتم بمعرفة نوع وأسلوب الكلام المستخدم فى الحديث وأساليب الكلام فى لغتنا العربية هى :

اولا الاسلوب الخبري: يستخدم الاسلوب الخبري عادة للحديث عن سئ جديد بالنسبة للسامع او القارئ وهو يحتمل الصدق او الكذب ويمكن استخدام ادوات التوكيد لتأكيد الخبر مثل(إن، قد، نون التوكيد،....).

ثانياً الاسلوب الإنشائي: هو كلام ليس صدقا وليس كذبا وينقسم إلى:

-الانشاء الطلبي أقسامه(الامر، الاستفهام، النهى، التمني ، النداء)

-الانشاء الغير طلبى أقسامه(المدح والذم، القسم، التعجب، صيغ العقود ،الرجاء)

-الايجاز ويعنى اختزال الكلمات وذلك بالتعبير بكلمات قليلة تختصر حديث طويل وفى نفس الوقت يظل محتفظاً بمعناه الاصلى وهو أنواع (ايجاز بالحذف،ايجاز بالقصر)

-والفصل والوصل :المغذى من هذا الفرع هو معرفة متى يجب وصل الكلام وكيف يتم عطف الجمل على بعضها ومتى يجب فصل الكلام وبداية جمل جديدة وتعد المعرفة بهذا المبحث هى اساس على البلاغة

-الاطناب :هو التعبير عن المعنى باستخدام أكثر من عبارة بشرط أن تضيف الزيادة فائدة للحديث وكذلك لمعنى الكلام

2-علم البيان:

يهتم هذا العلم بالصور البلغية وقدرتها على توضيح وتوصل المعنى ومن الصور البلاغية:

-التشبيه: هو الحاق أمر بأمر آخر فى صفة الامر الاول هو المشبه والامر الثاني هو المشبه به وأركان التشبيه هي (المشبه ،المشبه به، أداة التشبيه، وجه الشبه)

-الكناية: هو استخدام كلمات او صفات معينة بهدف توصيل معنى اخر ملازم لهذه الكلمات مثال ابى اسد :كناية عن الشجاعة.

-الاستعارة: هى تشبيه حذف احد طرفيه انواعها(استعارة مكنية ، استعارة صريحة، استعارة تمثيلية).

3- علم البديع:

ويهتم بالمحسنات البديعية التى تزيد الكلام حلاوة وتجعله يترك أثرا خلابا فى النفس مع عدم الاخلال بالمعنى الأصلي له ،أنواع المحسنات البديعية:

-الجناس: وينقسم الى :

1-الجناس التام :هو اتفاق لفظين فى الحروف وعددها مع اختلافهما فى المعنى

2-الجناس الناقص: هو لفظان متشابهان فى الحروف مع اختلاف عددها

3-جناس القلب :هو لفظان مختلفان فى ترتيب الحروف.

4-الجناس المحرف :هو اختلاف الحروف من حيث الفتح والضم والكسر

-الطباق: الجمع بين شئين متضادين بهدف توضيح وابراز المعنى لكل منهما وانواعه(طباق بالإيجاب ،طباق بالسلب)

-السجع: هو كلام ذو قافية واحدة اى اتفاق الحرف الاخير من كل جملة.

نصوص مختارة من الأدب العربي:

1-العصر الجاهلى:

خطبة قيس بن ساعده الإيادى

(.....-نحو 23 ق هـ=.....-نحو 600م)

قس بن ساعده بن عمرو بن عدى بن مالك من بنى إياد :أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية كان أسقف نجران ويقال :أنه أول عربى خطب متوكئا على سيف أو عصا ،وأول من قال فى كلامه "أمابعد" وكان على قيصر الروم زائرا فيكرمه ويعظمه وهو معدود فى المعمرين طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ورآه فى عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال: يحشر أمة وحده".(6)

النص:

"أيها الناس اسمعوا وعوا إنه من عاش مات ، ومن مات فات، وكل ما آت آت .. ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر، إن فى السماء لخبرا، وإن فى الارض لعبرا ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا بالمقام فأقاموا ،أم تركوا هناك فناموا؟!

يا معشر إياد: أين الآباء والأجداد ؟وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول آجالا...؟ طحنهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس والد ولا مولود"

موضع الخطبة: سوق عكاظ وهو أحد الاسواق المشهورة فى الجاهلية

(6) الزركلى:الاعلام،ص5.

موضوع الخطبة: تأملات فكرية فى خلق الكون ووعظ الناس ،وإرشادهم إلى ما فيه منفعتهم قراءة فنية فى نص الخطبة

الشرح:

يقول قيس ابن ساعدة فى هذه الخطبة واعظا الناس ، معبرا عن تجربته فى الحياة بادنا حديثة بالأسلوب الإنشائي "أيها الناس" وذلك لجذب الانتباه من الوهلة الاولى انظروا ، وامعنوا النظر فى هذه الحياة كيف يأتي الانسان الى هذه الدنيا؟ وكيف يخرج منها ذاهباً الى مكان غير معلوم لاحد ، وتأملوا كل شيئ فى هذا الوجود وتدبروه ، ولكم أن تنظروا الى تعاقب الليل والنهار وتلك السماء العالية والنجوم اللامعة والى البحار المسخرة التي تفيض بالمياه ثم يأتي بالتوكيد عبر الاسلوب الخبري مؤكدا ان الخبر يأتي من السماء ،لتقع العبرة منه فى الارض وان كان هذا النص فى العصر الجاهلي إلا أننا نلحظ فيه هنا الروح الاسلامية في النظر الى السماء والارض ؛ مما يبرهن ذلك على خبرة ودراية بمجريات الأمور فى الحياة فقد كرم الله الانسان بنعمة العقل ليتدبر الكون من حوله وهذا ما نجده عند قس بن ساعده ،الذى ينتقل بعد ذلك عبر الاسلوب الانشائى ليعظ الناس ويرشدهم من خلال الاشارة الى حال الناس عندما تموت فهى تذهب ولا ترجع ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟! ثم يطرح السؤال على الحضور لإعمال العقل بقوله "أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ؟ ليدع بذلك العقول فى حيرة من أمرها سائلة عن الحال وحال وحالهم فيما بعد.

ثم تأتى الخطيب بالنداء مرة أخرى لقومه بقوله:يا معشر إياد لجذب الانتباه لينتقل عبر اسلوب سلس عذب الى اخذ العظة والعبرة من الامم السابقة فيقول : أين الآباء والاجداد ؟ بل أين عظماء مصر من الفراعنة الذين يمتازون بالقوة والشدة ،

هل نفعهم أعمارهم الطويلة أو أموالهم الكثيرة فالكل لا محال ذاهب ،موضحا أن الدنيا لا تبقى على احد وهنا إشارة الى الفناء والموت فلا قيمة للدنيا فقد أصبحت منازل السابقين طلل خاوى لأحد يقطن فيه ثم يشير مرة اخرى الى الروح الاسلامية بتوحيد الخالق عندما قال: هو الله الواحد المعبود ليس والد ولا مولود "

الخطبة من حيث الألفاظ والاسلوب ::

الأساليب:

جاءت بين الخبر والانشاء لتقرير الحقائق وتأكيدها وجذبا لانتباه السامعين وتتميز الخطبة بقصر العبارات والتأثير العاطفى .

وكان من هذه الأساليب:

-(أيها الناس):أسلوب إنشائى نوعه نداء غرضه التنبيه حذفت الاداة(يا) دلالة على قربهم منه.

-(اسمعوا وعوا):اسلوب إنشائى نوعه أمر غرضه الحث والنصح والارشاد

-(إنه من عاش مات) :أسلوب خبرى مؤكد بأن غرضه التقدير ، ويؤكد أن الموت مصير كل حى

-(ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟): أسلوب إنشائى استفهام غرضه التعجب

-(أرضوا بالقام فأقاموا؟!أم تركوا هناك فناموا) :هى من الاساليب الإنشائية الاستفهامية التى غرضها الحيرة.

-(يا معشرإياد): أسلوب إنشائى نوعه نداء غرضه التنبيه والاثارة

-(أين الاباء والاجداد؟أين الفراعنة الشداد) :هى من الاساليب الانشائية الاستفهامية التى غرضها :التنبيه والتشويق والتقرير .

-(ألم يكونوا أكثر مالا وأطول آجالا):أسلوب إنشائى نوعه استفهام غرضه التقرير.

-(ألم يكونوا أكثر منكم مالا):اسلوب قصر بتقديم الجار والمجرور (منكم) يفيد التخصيص.

-الالفاظ: سهلة واضحة لا غموض فيها

-المحسنات :جاءت طبيعية متكلفة لتوضيح المعنى وتقويته

وكان من هذه المحسنات:

-ليل- نهار :طباق

-داج-ساج: جناس ناقص

-وسماء ذات ابراج :داج ،ساج ،أبراج ،سجع

-نجوم تزهر، وبحار تزخر: ازدواج وسجع

-تزهر، وتزخر: جناس ناقص

-خبرا، عبرا: جناس ناقص وسجع

-السماء والارض :طباق

-فأقاموا-فناموا: سجع

-إياد، الاجداد، الشداد: سجع

-الاجداد، الشداد :سجع

طحنهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله :سجع

د-العصر العباسى:

"علية بنت المهدى"
أميرة حائرة بين التقاليد والفن

1- مجتمع جديد:

كانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً. ومن المحيط الهندي والسودان جنوباً الى بلاد الترك والروم والصقالبة شمالاً، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخرسان، وما وراء النهر والعراق وإيران والجزيرة العربية ، والشام ومصر والمغرب وهى أوطان كثيرة كان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة

فهو إذن مجتمع يختلف في تكوينه وتركيبه وثقافته وعاداته عن المجتمعات السابقة التي ألفناها في صدر الاسلام ، وعهد بنى أمية ونعنى بذلك المجتمع الذى ولد أبناؤه ونشأوا في ظل الدولة العباسية ، بكل ما تميزت به من سلوك ثقافي وما انفردت به من تحلل اجتماعي ، وجاء نتيجة لتغير المجتمع من عربي السلوك الى فارسي السمات ،فمن المسلم به ان المدينة بتزاحم سكانها وضعف الروابط بينهم وكثرة الغرباء فيها والوافدين إليها ، كل ذلك يجعلها قابلة لكل أسباب الانحراف ومظاهر التحلل أضف الى ذلك إنشاء عاصمة جديدة تماماً، هى بغداد في إقليم يختلف عن إقليم العاصمة السابقة الكوفة والشام ، في نطاق ثقافة وعادات وافدة غريبة على العرب وهى الثقافة والعادات الفارسية تحت حكم سياسى مختلف ،هو الحكم العباسى المسند الى النفوذ الفارسى كل هذه المعطيات كانت منطلقاً لمجتمع جديد ذى عادات بعضها أصيل وبعضها الاخر ناشئ مختلف.

وتصدر موائد الشعر في هذه المرحلة جماعات من الشعراء أكثرهم من غير العرب وحتى العرب منهم على قلتهم كانت البيئة الجديدة قد أفسدتهم وجعلتهم يقبلون من العادات ما يستقبحها قومهم ويتبعون من السلوك ما يتنافر مع تقاليدهم ومروءتهم، حيث جعلوا الخلاعة شعاراً والمجاهرة بالفاحشة عنواناً ، والتحلل الخلقى والابتعاد عن القيم مقصداً والزندقة معتقداً(7)

(7) د.محمد على الصباح:العباس بن الاحنف،شاعر الحب والغزل، دار الكتب العلمية بيروت، ط.اولى، ص6،سنة1990.

شعراء أشاعوا الخمر ومجالس الغناء ، و ٬لان معاشرة الغلمان والتطرف بإعلان الالحاد والسخرية من الدين فضلاً عن نمو الشعوبية والحملة على العرب وتحقيرهم والفخر بالفرس والعصبية لهم، إن هؤلاء أبنا البنية بخيرها وشرها.

2-الشعوبية:

عندما جاء الاسلام نادى بقوة لهدم الفوارق العصبية للقبائل والفوارق الجنسية بين الشعوب حتى يسود الوئام بين افراد الامة الاسلامية فلا عدنانى ولا قحطانى ولا عربى ولا عجمى ،إنما أمة واحدة يتساوى أفرادها في جميع الحقوق والواجبات ، ولا تفضيل فيها إلا بالتقوى والعمل الصالح ، غير أننا لا نكاد نصل الى عصر الخليفة الرابع وما نشب في عهده من حروب وفتن ،حتى نرى العصبيات القبلية تعود مجدداً بين القبائل ،بل اضطرمت اضطراماً لم يهدأ أوراده طوال عصر بنى أمية ، وقد مضى الامويون ينحرفون عن جادة الدين في معاملتهم للموالى ، مما تسبب في اضطغانهم على العرب ،وعظم حقد هؤلاء الموالي على الدولة الاموية فالتفت جماعات كثيرة منهم حول ابى مسلم الخرساني داعية العباسيين بخرسان ، وما لبثوا أن زحفوا في جيش عظيم ، قضوا به على بنى أمية لصالح العباسيين فتراجع بذلك العنصر العربي ، وبرز على الساحة العنصر الفارسي الذى نفذ الى المناصب العليا في الدولة العباسية الجديدة التى قامت على انقاض الدولة الاموية ، بحيث صار منهم أكثير القواد وأكثر الولاة وخاصة حين استولى البرامكة على مقاليد الحكم في عهد الرشيد وبنو سهل في عهد المأمون وقد كان هذا التحول

الخطير في انتقال مقاليد الحكم الى المجتمع العباسي سبباً في بروز النزعة الشعوبية –نسبة الى الشعوب الاعجمية –هي نزعة كانت تقوم على مفاخرة تلك الشعوب –خاصة الشعب الفارسي للعرب مفاخرة مستمدة من حضارتهم لما كان فيه للعرب من بداوة وحياة خشنة فنظروا إليهم نظرة ازدراء ورفعوا أنفسهم فوق مراتب هؤلاء هم الذين تصدق عليهم كلمة الشعوبية ، إذ قوموا الشعوب الاجنبية على العرب وتنقصوا قدرهم وصغروا شأنهم وكانوا طوائف مختلفة كان منهم رجال السياسة الذين يريدون أن يستأثروا بالحكم والسلطان دون العرب ومنهم "القوميون "الذين يلهبون مشاعر قومهم ضد العرب الذين اجتاحوا ديارهم وقوضوا أركان دولتهم .... ومنهم مجان وخلعاء أعجبتهم الحضارات الاجنبية ، وما اقترن بها من خمر ومجون واستمتاع بالحياة ،فالشعوبية إذن هى هذا التعصب الفارسى ،وغير الفارسى ضد العرب.

3-الزنـدقـة:

إن الملاحدة والزنادقة ، كانوا أشد عنفاً وغيظاً على العرب وكانوا يبغضون الدين الحنيف ،وكل ما تصل به من عرب وعروبة ، كانت أهم مطاعنهم التى وجهوها إلى العرب أنهم كانوا رعاة أغنام وإبل ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ، ولا مدينة ولا معرفة بالعلوم فأين هم قديماً من ملك الاكاسرة والقياصرة؟ وأين هم من الحضارة الفارسية والرومية؟ وأين هم من علوم الهند والفرس والكلدان واليونان والرومان؟ واخذوا يتتبعون مثالبهم ويحصونها عليهم وقايسوا بين ما عندهم من المعارف والتعمق في السياسة وبين ما للعرب من حكم منثورة ، كما حاولوا تقبيح

بعض شيمهم الرفيعة كشيمة الكرم – وزعموا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فضلهم على العرب وحاولوا أن يستلوا قريشاً قوم الرسول من العرب ويدخلوهم في غمارهم ، كما كان رجال الفرس البارزين من أمثال البرامكة ،وآل سهل ، وآل طار بن الحسين كانوا يذكرون نار هذه الشعوبية فيمن حولهم من الفرس ، واستطاع الفرس أن ينشروا أو يسعوا سعياً واسعاً في نشر الزندقة بين الناس فكانت البصرة أكبر وكر حينئذ للزنادقة والملاحدة ففيها نبت وعاش بشار ابن برد وصالح بن عبدوس وعبدالكريم بن ابى العوجاء وغيرهم(8)

4-المجون:

ورث المجتمع العباسى كل ما في المجتمع الساسانى الفارسى من أدوات لهو ومجون ، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة ، فإذا الفرس المنتصرون يمعنون من مجونهم ويمعن الناس معهم، فقد مضوا يعبون الخمر عباً ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة وحاكاهم في ذلك من عايشهم حتى أصبح الادمان عندهم ظاهرة عامة ، واضحت ندوات المجان من الشعراء من الانحلال والتهتك بحيث لم نشهد لها مثيلاً في تاريخ المجتمع الاسلامى لا من قبل ولا من بعد ، لقد كان لهؤلاء يلتقون في الاماكن العامة ثم يحاول كل منهم أن يستأثر بالمجموعة في بيته أو بستانه حيث يخلعون العذار ويعاقرون من ضروب الشراب ،ويمارسون من أسباب الانحراف ما شاءت لهم طبيعتهم ة هذه الندوات ،

(8)د.محمد على الصباح:العباس بن الاحنف،ص15-16.

على أن هؤلاء لم يكن من الحرائر وإنما كن على الاغلب من القيان وفى مقدمتهن القينة "عنان جارية الناطقى"(9)

5-الرقيق والجوارى والغناء:

كثر الرقيق في العصر العباسى كثرة مفرطة بسبب كثرة أسرى الحروب وانتشار تجارته ورواجها حتى كان في بغداد شارع خاص بتجارة الرقيق يسمى شارع الرقيق وكان عليه موظف يسمى قيم الرقيق ، وقد أولع الخلفاء والامراء والوزراء والقواد بالرقيق حتى قيل إن هارون الرشيد سار يوماً وبين يديه اربعمائة منهم ، وشغف المعتصم أيضاً بالرقيق التركى خاصة حتى اجتمعوا له بالالاف واضطر ان يبنى لهم سر من رآى كى يجنب العامة شرهم وأذاهم وكان رقيق النساء من الجوارى أكثر عدداً من رقيق الرجال فقد زخرت بهن الدور والقصور وكان الرجال بعامة يفضلوهن على الحرائر على نحو ما يرى الجاحظ(10)لانهن كن من اجناس مختلفة ولربما لعب الحجاب عند المرأة الحرة دوراً في ذلك فكان الرجل لا يرى من يريد الاقتراب بها من الحرائر أما الجوارى فكن معروضات بدور النخاسة تحت سمعهم وبصرهم فكانوا يختارون منهن حسب رغباتهم وأهوائهم وكانت الجوارى والاماء من اجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة فأثرن تأثيراً واسعاً في أبنائهن وأزواجهن ومحيطهن وقد امتدت آثارهن الى قصر الخلافة نفسه وأثرت

(9) رضا كحالة :المرأة في عالمى العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة،بيروت،1982م.

(10) الجاحظ:عمر بن بحر:الحيوان ،تحقيق د.عبدالسلام هارون، (ط3) ،القاهرة،1982،ج3،ص75، وانظر ايضاً رسائل الجاحظ: بتحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة،1964، 1979،ج2،ص162.

تأثيراً عميقاً فقد كان أكثر الخلفاء العباسين من ابنائهن فالنصور امه حبشية والهادى والرشيد أمهما رومية الاصل والمأمون أمه مراجل فارسية وكذلك كانت ام المعتصم ماردة فارسية الاصل وكانت ام الواثق رومية تدعى قراطيس ، وقد اخذ هؤلاء الجوارى يكثرن في قصور الخلفاء منذ عهد المهدى وكان بينهن من يعلقن الصلبان وقد استكثر الرشيد وزوجته زبيدة من الجوارى والاماء حتى قيل إنه كان عند كل منهما زهاء ألفى جارية في احسن زى من الثياب والجواهر وكان قصر الامين يزخر بالجوارى الغلاميات اللاتى يلبسن لبس الغلمان وزخر قصر المأمون بالجوارى المسيحيات كما زخر بهن وبغيرهن قصر المعتصم والواثق(11)

وكانت قصور الوزراء والامراء والقواد ودور علية القوم تمتلئ بهن وكان يغشى هذه الدور الشعراء وكثيراً ما يقع حب جارية في قلب شاعر ولذلك التف حولهن الشعراء ، أصبحت لكل شاعر جارية يعرف بها فلبشار عبدة ولأبى نواس جنان وللعباس بن الاحنف فوز ولأبى العتاهية عتبة ولإبراهيم الموصلى خنث(12)
وكانت كثيرات منهن يحطن بفنون القول والادب فكن يجمعن الى جمالهن عذوبة الحديث فيملكن على الشعراء وغيرهم قلوبهم وعقولهم ، بل كان منهن من يتقن نظم الشعر مثل عنان جارية الناطقى وسكن جارية محمود الوراق وكان منهن من يضفن الى ذلك إجادة العزف والغناء فكن فتن العصر ،على نحو ما كانت عليه

(11) عبدالملك الثعالبى:لطائف المعارف،تحقيق الابيارى، والصيرفى، ص125،القاهرة، 1960م.

(12) د.عبده بدوى: قضية التعبير عن الحب عند الشاعرات :مجلة عالم الفكر ،المجلد الثامن عشر العدد الثانى،1978،ص573.

دنانير جارية البرامكة ومتيم جارية على بن هشام وعريب جارية الامين والمأمون(13)

6-الغناء :

كان للغناء في هذا العصر أثر في نفوس الناس وأى أثر فقد شغلوا به فكان نعيمهم من دنياهم الذى لا يؤثرون سواه لما يبعث في نفوسهم من غبطة وابتهاج ، وقد انتقل فن الغناء من الحجاز الى العراق في اواخر عصر بنى أمية... وتأثرت الفنون في هذا العصر حيث شجع ابوالعاس الملقب بالسفاح الخليفة العباسى الاول الفنون فأحيا أجمل تقاليد ملوك فارس القديمة(14)

وكان اول من اولع بالغناء من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى وابنيه من بعده على التوالى الخليفة الهادى وهارون الرشيد وفى عهد الرشيد أصبحت قصور الخلافة موئلاً للمغنيين والمغنيات والجوارى والسرارى من كل جنس(15)

كما جعل الرشيد المغنين مراتب وطبقات وهو الذى طلب الى ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع أن يختار له الاصوات المائة الى أدار ابوالفرج الاصفهانى كتابه الاغانى عليها فيما بعد... وكان من أبرز المغنين ابراهيم الموصلى وابن جامع مغنى الرشيد ومنهم مخارق وكان الناس يبكون لجمال غنائه ورقته ، وكان أنبه المغنين في العصر اسحق الموصلى الذى تلقى الغناء على ابيه ابراهيم الموصلى والضرب على العود وقد بلغ من هذا الفن وارتفاع شأنه أن أقبل عليه

---

(13)رضا كحالة :المرأة في عالمى العرب والاسلام، ج2،ص368، 375، 381.

(14)رضا كحالة :المرأة في عالمى العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة،بيروت،1982م،بيروت،ج2،ص354.

(15) نجيب زبيب:الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، تقديم أحمد بن سودة،دار الامير ،بيروت،1995م،ج2،ص108

الخلفاء وعلية القوم لتعلمه وإتقانه واشهرهم في هذا ابراهيم بن المهدى واخته علية..... وقد اخذ الغناء الذى ملأ حياة الناس واستأثر قلوبهم يرفع من اثمان الجوارى المسمين بالقيان اللائى كن يتقنه وكان هناك نواد كبيرة للغناء والموسيقى يذهب إليها الشعراء وغير الشعراء للمتعة بالسماع ورواية الجمال من كل شكل ولون(16)

7-الزهد:

ليس معنى ما قدمنا من حديث عن الزندقة والمجون أن المجتمع العباسى كان مجتمعاً منحلاً أسلم نفسه للإلحاد والشهوات ،فالالحاد والزندقة إنما شاعا في طبقة محدودة من الناس كان جمهورها من الفرس ، وكانت موجة المجون أكثر حدة ولكنها لم تكن عامة في المجتمع بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين ،أما عامة الناس فإنها لم تكن تعرف زندقة ولا مجوناً ،وإذا كانت حانات الكرخ ودور النخاسة اكتظت بالجوارى والقيان والمغنين ،فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعباد والنساك وأهل التقوى والصلاح ولا شك ان الغلو في جانب من جوانب السلوك عند بعض الناس يقابله غلو وتطرف عند الجانب الاخر منهم لقد غالى القوم في تلك الفترة واشتطوا في طلب الدنيا وبالغوا في طلب الملذات والخروج عن روح الايمان فكان من البداهة أن يظهر تيار أخر على نقيض تيار

(16)د.محمد على الصباح:العباس بن الاحنف،ص17-18وانظر ابوالفرج الاصفهانى:القيان،تحقيق جليلة العطية،رياض الريس للكتب، ص103- 111.

اللذة المادية ،إنه تيار الزهد والابتعاد عن مباهج الحياة والدعوة الى التحقير من شأنها والتفكير في الموت والنظر الى الحساب والعقاب والعودة الى ينابيع التقى والايمان.

ومن العجب ان نرى ان الذين أقبلوا على الزهد وسعوا إليه وقالوا فيه شعرهم هم أنفسهم الذين أسرفوا على انفسهم وعلى مجتمعهم إثماً ومعصية وانحرافاً.

وقد عرفت البصرة مجموعة بارزة من النساء اللواتى تميزن بعلمهن او بزهدهن من اصحاب المذاهب المختلفة نذكر منهن رابعه بنت اسماعيل العدوية الزاهدة المعروفة التى كانت على صلة بزهاد عصرها وشيوخهم أمثال الحسن البصرى ومالك بن دينار ورباح القيسى وغيرهم.. وكانت لها مريدات منهم مريم البصرية(17)

كما اشتهرت في هذا العصر من النساء محدثات نقل عنهن الحديث جماعة من المحدثين المشهورين في هذا العصر منهن فاطمة النيسابورية وخديجة ام محمد وهى محدثة وقد روت عن اشهر المحدثين في عصرها وعلى رأسهم أحمد بن حنبل ومنهم عابدة المدينة التى روت عن مالك بن انس وغيرهم من علماء المدينة وقيل انها كانت تروى نحو آلاف حديث(18)

(17) انظر عن الوليات البصريات:شارل:الجاحظ،ترجمة ابراهيم الكيلانى،دمشق، 1961م،ص153-157.

(18) كحالة:اعلام النساء:ج1/ ص288،وج3/ص199،دمشق،1940م،1959م.

وانتشرت العادات الفارسية في المجتمع العباسي بسبب الاختلاط وأخذ العرب يحاكون الفرس في العناية بموائدهم ووضع الزهور عليها ، وفى تنسيق البيوت وإعداد الحجرات وفى الاحتفال بالأعياد الفارسية احتفالاً شديداً ومن بينها "عيد النيروز" ويم المهرجان حيث حرصوا على أن يتلقوا فيها التهاني والهدايا(19)

وتبع ذلك كثرة اللهو والترف حتى أنهم كانوا ينفقون الاموال الطائلة في فيما لا طائل من ورائه اللهم إشباعاً للنفس ،فلا عجب أن غالوا في مآدبهم وحفلاتهم مغالاة شديدة حتى قيل: إن الرشيد عندما بنى بزبيدة بنت جعفر المنصور اتخذ وليمة لم يكن لها شبيه فيما مضى من المآدب على طول الايام وكانت الهبات فيما لا تنتهى وكذلك فعل المأمون في بنائه ببوران بنت وزيره الحسن بن سهل عام 210هـ فقد أعطاها في صداقها ألف حصاة من الياقوت ، وأوقد الشموع الهائلة من العنبر وصنع الطعام والمآدب الفاخرة ...واولعوا بالغناء وتفننوا فيه ، وابدعوا في ألحانه وجددوا في آلاته وأكثروا في مجالسه من الملح والعبث والشراب ، وكانت بغداد تعجب أصحاب الثراء لسعة عمرانها ، وبهجة منظرها وروعة قصورها ومتنزهاتها وميادينها وشتى مظاهر الحضارة فيها ، أما الفقراء وذوو الحاجة فكانوا يضيقون بها ذراعاً للشقاء والبؤس الشديد الذى كانوا يعيشون فيه قال شاعرهم فيها :

1-تصلح للمواسر لامرئ يبيت في فقر وإفلاس

2-لوحلها قارون رب الغنى أصبح ذا هم ووسواس(20)

(19)د.محمد على الصباح:العباس بن الاحنف،ص20-21.

(20)د.محمد على الصباح:العباس بن الاحنف،ص30-32.

في ظل هذا التناقض الذى كان يعيشه المجتمع العباسى ولدت الاميرة علية بنت المهدى(21)ولا شك أن علية كغيرها من الافراد ستتأثر بهذا المجتمع ولكن إلى أى مدى ؟ هل ستحمل تناقضه؟ أم أنها ستعي الامور فلا تتخبط وتسير على هدى وطريق مستقيم ؟ هل ستمثل الجانب المتعصب لتقاليد المجتمع ،أم أنها ستنفتح على المجتمع الجديد وتتحلل بعاداته الاعجمية واللهو والمجون.

نجد "علية" أمام ذلك كله تقف موقف المعتدلة ،فنجدها تتأثر بالمجتمع الجديد في جوانب ولكنها لم تتحلل فيما حمله هذا المجتمع من تناقض ولهو ومجون.

ولدت علية بنت المهدى في قصر الخلافة ببغداد سنة ستين ومائة(22)

ومما قيل في وصف قصور علية وشقيقتها... وهذا القصر كأنه مدينة صغيرة له اجنحة متعددة... هذا جناح الخيزران أم الرشيد ،بكتبها وغلمانها وجواريها وكانت مواكب الامراء تأتى الى بابها... وهذا جناح علية أخت هارون الرشيد ، وكانت

---

(21) المصادر الاساسة عن علية هى:أبوالفرج الاصفهانى:الاغانى،عبده على مهنا،بيروت،دالر الكتب العلمية،ج10/ص160- 210.

2-الذهبى :سير اعلام النبلاء،تقديم شعيب الارنؤوط،ومحمد نعيم العرقسوس،بيروت(شمس الدين محمد)،الرسالة،1982،ج10/ص187- 188.

3-الصفدى(صلاح الدين أيبك) :الوافى بالوفيات، تحقيق رمزى بعلبكى ،بيروت،دار صادر، 1982م،ج22/ص169- 274

4-الصولى(ابوبكر محمد بن يحى):أشعار اولاد الخلفاء،بيروت،دار المسيرة،1982م،(ط3)،ص55- 83.

5-السيوطى جلال الدين:نزهة الجلساء فى اشعار النساء ،تحقيق د.صلاح الدين المنجد،بيروت،دار الكتاب الجديد،1978م،ص60- 64.

(22)ابوالفرج الاصفهانى:الاغانى ،تحقيق عبد مهنا، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1986،ط1،ج10،ص225.

شاعرة جميلة مفتنه لها عشاقها وزوارها ، ومجالس انسها ... وهذا جناح العباسة أخت الرشيد وهى فتاة جميلة أيضاً تحب جعفر البرمكى وتراسله(23)

أجمع مؤرخو الادب القدامى والمحدثين على صيانة علية وعفتها وتقواها وأنها حسنة الدين كما ذكر الصولي وآخرين من بعده ممن ترجموا لها على انها من أكمل النساء عقلاَ واحسنهن ديانة وصيانة ونزاهة ، كانت أكثر أيام طهرها مشغول بالصلاة ودروس القرآن ولزوم المحراب .

كذلك أشار المؤرخون على ظرف علية وحسن تربيتها كان من بينهم الأصفهاني والذهبي والسيوطي وآخرون وأنها كانت من أحسن النساء وأظرفهن تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الالحان الحسنة وللظرف سمات وألوان يحددها العصر الذى عاشت فيه "علية" ولعل الوشاء فى موشاه(24) خير من يمثل هذه الطبقة المترفة التى عاش فى بغداد فى القرن الثاني للهجرة بكل ما فيها من ملامح وسمات أبرزها ما تتميز به من ترف بالغ في المظهر والجوهر .فهي تتأنق فى الملبس والمأكل والمشرب كما أنها تتألق في المجلس وترعى آدابه وتحسن التلطف الى الجلاس وتتأنق في الحروف إذا تتخذ منه الاعف ،الانبل ، وتترفع عن الحوشي

(23) أحمد أمين:هارون الرشيد ،مجلة الهلال،العدد 3،ص84- 85 وانظر:

-Nabi Abbot Tiw Qwn of BAGAD moth and wife of Harunal –Rsshid Billinig and sons LTd Worcester in Grean Britam 1986 .p.16.

(24) الوشاء :أبوالطيب محمد بن اسحاق الموشى،دار صادر،بيروت، 1965م، وانظر ايضا الترجمة الاسبانية لكتاب الوشاء للدكتورة تبريزا جارولوا ،مدريد ،الفاجورا،1990م.

والسقط وهى بعد خير من يحسن معاملة النساء والتودد إليهن كما أن هذه الطبقة كانت عفة الظاهر ، والباطن مفرطة في التهذيب ممعنة في الرقة.

كانت "علية" بحكم بنوتها للخليفة المهدى ونسبها فى البيت العباسي تعرف وتدرك حق الادراك ما تفرضه التقاليد على بنات الخلفاء من قيود ليس من السهل التحرر منها ،أو التمرد عليها ومن ثم اضطرت منذ الصغر الى مواجهة صراعاً مريراً محتدماً بين تيارين متماثلين ، بين التحفظ والالتزام التام وما يمليه عليها مركزها الاجتماعي ، وبين ميولها العاطفية والأدبية والفنية .

وقد انعكس هذا التأرجح على النتاج الشعرى الذى أثر عنها فهى ترغب في التعبير بالشعر عزلاً ولكنها لا تجد متسعاً كافياً من الحرية في أن تقول ما تشاء ، ولا سيما أن الغزل ليس من الموضوعات الشائعة في شعر المرأة ولذلك فهى تحتال على القول احتيالاً ، وتتخفى وراء الرمز ومن هنا جاء شعرها ذا نغمة ولون يكاد يكون جديداً على أدب المرأة(25)

أجمع كل من الصولي والأصفهاني والسيوطي على أن علية كانت تكاتب بالأشعار خادمين يقال لأحدهما طل وتكنى عنه بظل والآخر يسمى رشأ وتكنى عنه بـ زينب على انهما جاريتان وعندما وصل الرشيد مرة بعض شعرها طل حلف عليها ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه وقالت في ذلك من {الكامل} :

(25) د.وديعة طه النجم :أضواء على منزلة المرأة في العصر العباسى ،مجلة عالم الفكر، المجلد الثانى عشر، العدد الاول(ابريل –مايو–يونيه) 1987م،ص238– 239.

1–قد كان ما كلفته زمناً يا ظل من وجد بكم يكفى

2–حتى أتيتك زائراً عجلاً أمشى على حتف إلى حتف(26)

وقالت فيه من {الطويل} ، وقد صحفت اسمه تقول:

1–أيا سروة البستان طال تشمسى فهل لى إلى ظل إليك سبيل

2–متى يبتغى من ليس يرجى خروجه وليس لمن تهوى إليه دخول(27)

ثم دخل عليها بعد فترة على غفلة ، وهى تقرأ القرآن في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى(فإن لم يصبها وابل) (28)وأرادت أن تقول فطل فلم تلفظ بهذا، وقالت :فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين ، فدخل عليها الرشيد وقبل رأسها وقال لها : ما كل هذا قد وهبتك طلاً ولا منعتك بعدها من شئ ترتدينه (29)

ولها في طل هذا عدة أشعار لها فيها غناء ، وقد صحفت اسمه دائماً كما تفعل من طل الى ظل تقول من {مجزوء الكامل}:

1–سلم على ذاك الغزال الأغـيد الحــسن الــدلال

2–سلـم عليه وقــل لـه يا غـل ألـباب الـرجـال

3–خليت جسمي ضاحياً وسكنت في ظل الحجال(30)

4–وبـلغت مـنى غـاية لـم أدر منـها مـا احتيالي

---

(26) الصولى:ص61، الاصفهانى: الاغانى ،ج10،ص202، والسيوطى:نزهة الجلساء،ص62،والصفدى،ج22،ص370،وزينب فواز :ص349.

(27) سورة البقرة :الاية رقم(265) وأصل الاية(فإن يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصيرا) وأرادت ان تقول فطل،فلم تلفظ بهذا ،وقالت :فالذى نهانا عنه امير المؤمنين.

(28) الصولى: اشعار اولاد الخلفاء، ص57، الاصفهانى: الاغانى ،ج10،ص211، والسيوطى:نزهة الجلساء،ص63،والصفدى،ج22،ص370.

(29)الصولى: اشعار اولاد الخلفاء، ص71،الاصفهانى: الاغانى ،ج10،ص203،ص370، والصفدى،ج22،ص373،وزينب فواز :ص349.

(30)الاصفهانى: الاغانى ،ج10،ص203، والصفدى،ج22،ص371.

ولعلية أيضاً قصيدتان في رشأ قالت في الاولى من{مجزوء الكامل}:

1-وجـــد الفـؤاد بـــزينبا وجــداً شديدا متعباً

2-أصبحت من كلفى بها أدعى سقيماً منصباً

3-ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكى لا تغضباً

4-وجعلت زينب سترة وكتمت أمـراً معجــباً

5-والله لا نلت المودة أو تــنال الـكـوكـــباً(31)

وقد أورد الصولى القصيدة الثانية لـعلية في رشأ وقد صدر الابيات بقطعة ترجمة يقول فيها لما علم من علية أنها تكنى عن رشأ بـ زينب ، قالت :الآن سأكنى عنه كناية لا يعرفها الناس فقالت هذه الابيات من {الرمل} وهى قطعة صغيرة تحتوى على ثلاثة أبيات فقط قالت:

القلب مشتاق الى ريب يا رب ما هذا من العيب

قد تيمت قلبى فلم استطع إلا البكا يا عالم الغيب

خبأت في شعرى ذكر الذى أردته كالخبء في الحبيب(32)

الآن نحاول أن نناقش موضوع علية وعلاقتها بغلامي الرشيد طل ورشأ والذى أصبح مع الزمن حكاية يرويها الناس ويتناقلها الباحثون والدارسون دون تمحيص أو تدقيق نحن نعتقد أن علاقة الأميرة علية بكل من طل ورشأ خادمي الرشيد ، كانت علاقة خالصة من الشوائب ولم يكن بينها وبينهما ما يريب ، وأن ما قالته من شعر الغزل ما هو إلا على سبيل العبث والدعابة- وربما- جرياً على عادة

(31)الاصفهانى: الاغانى ،ج10،ص203، والصفدى،ج22،ص371.

(32) الصولى:ص62، الاغانى:ج10،ص204، السيوطى:ص64.

الشاعرات في ذلك الوقت وتغزلهن في غلمانهن ، وسوف أسوق الأدلة التي أبرهن بها على صحة ما أقول:

1-اعتراف علية نفسها كما اشاد الأصفهاني عندما حلف عليها هارون الرشيد بألا تعود الى التحدث مع طل مرة اخرى فما كان منها إلا أجابت أخيها لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا أقول في شعرى إلا عبثاً(33)

2-اجماع مؤرخي الادب قدامى ومحدثين على عفة علية وتقواها واحتشامها وأنها حسنة الدين ، وإذا طهرت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن فواضح من خلال ما ذكره المؤرخون عنها أن فتاة كـ علية قد عرفت بالتقوى والاحتشام والعفة لا يمكن أن يكون بينها وبين خدم الرشيد ما يريب او يدعو الى الشك في سلوكها أو أخلاقها ، وأن ما كانت تقول فيها من شعر ما هو إلا على سبيل العبث.

3-اعتذار الرشيد نفسه لأخته ويتضح هذا من خلال الرواية التي أوردناها من قبل والتي تقول بأن الرشيد عندما مر مرة على حجرة علية وسمعها تقرأ القرآن حتى بلغت قوله تعالى "فإن يصبها وابل" فلم تستطع أن تكمل الآية ولم تنطق بكلمة طل الواردة في الآية الكريمة واكتفت بقولها: فما نهانا عنه امير المؤمنين" فما كان من الرشيد إلا أن دخل عليها وقبل رأسها ووهب لها طلاً هذا وهارون بهذا السلوك كأنما أراد أن يعتذر لها عن موقفه المتعسف الذى ألقى عليها ظلاً من الشك والريبة من قبل فلو كان بينها وبين خدم الرشيد ما يريب أو يدعو للشك في سلوكها لما اعتذر لها الرشيد ، ولما وهب لها طل بعد ذلك بعد ان كان قد منعها

(33)الاصفهانى: الاغانى ،ج20،ص201.

أن تذكر اسمه ، أضف الى هذا إنه لا يخفى عليك من هو هارون الرشيد وذلك من خلال الروايات التي تحدثت عنه إذ أنه كان معروفاً بحزمه وحرصه على جلال مركزه الديني وصرامته في رعاية حرمته (34) بل وشدته في التنكيل بمن يستهين بالدين(35)

4-أضف إلى ما تقدم -أن نساء البيت العباسى بوجه خاص قد تمتعن بقدر وافر من الحرية في القول والتعبير (أدباً-ورسائل-وشعراً) لم تكن لتتاح لغيرهن من الحرائر بصورة تامة فمن بين نساء البيت العباسى اللواتى ورد لهن شعر في الغزل بالغلمان خديجة بنت الخليفة المأمون ومن شعرها في غلام لها كانت تهواه تقول من { }:

1-بالله قولوا لى لمن ذا الرشا المثقل الردف الهضيم الحشا
2-أظرف ما كان إذا ما صحا أملـتح الناس إذا مـــا انتشى
3-وقد بنى برج حـتمام لـه أرسل فـيه طائراً مرعـــشاً
4-ياليتنى كنت حماماً لـــه أو باشقاً يفعل بى مـا يـــشا
5-لو لبس القوهى من رقة أوجعه أو خد شا(36)

وواضح ما في هذا الشعر من جرأة إذا صحت نسبته الى قائلته حقاً.... ولا شك أن شعراً كهذا منسوباً الى اميرة من بنات البيت العباسي ، كان فيه حرج على

(34) د.بنت الشاطئ:الاميرة المغنية،مجلة العربى، العدد الخامس ،ص40.

(35) -Tayeb El Hibri: Harun Al Rashid and narrative of the abbasid Caliphate Cambridge university press united kingdom ,1999,p.31

(36) السيوطى:نزهة الجلساء، ص42.

الخلفاء أنفسهم ،فقد قيل : أن المتوكل استمع الى مغنية له غنته هذه الابيات فطرب لها ثم سأل عن قائلها فقيل له: إن الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون قالته في خادم لأبيها وغنت فيه هذا اللحن فاطرق المتوكل ثم قال: لا يسمع هذا منك أحد... (37)

5-إن حياة الخاصة من البيت العباسي كانت تحاط بإطار من الغموض والكتمان مما هيأ الفرصة للرواة أن يحيطوا هذه الشخصيات بنسيج من خيالهم وكانت العباسة أخت علية إحدى هذه الشخصيات التي لعب الخيال دوراً كبيراً في القصص التى أحاطت بها.

6-إن التقاليد ما كانت لتنكر على الاميرة شاعريتها أو ترى فيها خروجاً على عرف البيت الهاشمي فلقد كانت سكينة بنت الامام الحسين(38)وحفيدة الزهراء وسليلة النبوة شاعرة ناقدة وكانت من بين بنات عبدالمطلب أبى العباس جد علية شواعر كذلك فلا حرج عليها أن تلوذ بالشعر وتلتمس في موسيقية أوزانه وقوافيه ما يريحها من الكبت ويعبر عن تلك الأنغام التى يضطرم بها عالمها النفسي(39)

وقد ورد للأميرة علية أشعار غزلية تشكو ما تعانى من كتمان وتجعل الكلام مرسلا دون تحديد مثل قولها{ من الوافر}

1-كتمت اسم الحبيب عن العباد ورددت الصبابة في فؤادى

(37) كحالة :أعلام النساء(نقلا كتاب الاغانى) ج1، ص281 ،288، دمشق ،1940م.

(38) د.منى بسطاوى: سكينة بنت الحسين، تحت الطبع في العدد القادم في مجلة المعهد المصرى ،للدراسات العربية بمدريد.

(39) د.بنت الشاطئ: الاميرة المغنية ،ص40- 41.

2–فواشـوقـى إلـتى بلـد خــلى لعلى باسم من أهوى أنادى(40)

ومن قولها في الغزل أيضاً وقد عبرت عن نفسها بطلاقة وجرأة قالت من {البسيط}:

1–إنى كثرت عليه في زيـارته فمل والشيء مملول إذا كثرا

2–ورابنى منه أنى لا أزال أرى في طرفة قصراً عنى إذا نظرا(41)

وكما أشارت د. وديعة طه النجم ، أننا نلاحظ على الشعر عليه أنه تسوده مسحة من المعاناة الممزوجة برقة العاطفة .... ويوحى شعرها إيحاء شديداً بروح شاعر معاصر لها وهو العباس بن الأحنف الذى ظل يتغنى بآلامه في الحب ، ويتظاهر في شعره بالكتمان ،وهو مع ذلك يستحلى كل معاناته في سبيل من يحب فصار لشعره طابع خاص به تماماً(42)

ومن الممكن أن تكون حياة القصر العباسى إذ ذاك هى التى أرهفت ميل الاميرة إلى الموسيقى والغناء فقد كان قصر الخلافة يزخر بحشد كبير من أمراء الصنعة وأساتذة الفن والموسيقى ، كما كان يجلب إليه كل جارية محسنة ، حيث يعهد بها الى هؤلاء الاساتذة يلقنونها أصول الغناء وفنون الايقاع والاداء حتى غدا القصر أشبه بمدرسة فنية جمعت بين أعلام الاساتذة المغنين ، وبين هؤلاء المطربات من مختلف الالوان.

---

(40)الصولى: اشعار اولاد الخلفاء، ص65،السيوطى،ص61،وزينب فواز :ص350.

(41)السيوطى:ص61،، والصفدى،ج22،ص371.

(42) د.وديعة طه نجم/ ص238

هذا ويبدو أن أكثر بنات الخليفة المهدى كن يعجبن بالشعر ينظمنه أو بالغناء يتعلمنه او ينظمنه... وقد ذكر منهن في كتب الادب :أسماء وحمدونة ونسبت لهن أشعار وأخبار تتصل بالغناء والشعر ، فليس بغريب أن تدعى علية بالأميرة المغنية ، كما أشارت بنت الشاطئ(43)لاسيما إذا ما عرفنا أنه كان لها أخوان من أبيها غير الرشيد كانا قد تخففا من أعباء الملك فأرضيا نزعتهما الفنية والموسيقية دون تحرج هما إبراهيم بن المهدى الذى شغل عن الخلافة بصنعة الالحان فعد من أعلام الفن في زمانه ويعقوب بن المهدى وكان أبرع زامر في عصره ولعل حياة البلط العباسي، (ومراقبة ما يجرى في الخفاء من أسرار) هي التي دفعت بعلية أن تحيا حياتين إحداهما: تظهر فيها أمام الجميع متعبدة زاهدة تقرأ القرآن ولا تنقطع عن الصلاة ، والاخرى حياتها الخاصة : وفيها تترك العنان لنفسها فتنظم الشعر العاطفي الملتهب ، وتضع فيه الالحان المثيرة ثم تدفعه للجواري فيشدون به في مجالس الخليفة والامراء ، لتملأ به أرجاء بغداد طرباً.

ولعلها من الاسباب راحت تشارك أخويها في مجالس الغناء تلك المجالس التى لم تكن يشهدها غير خاصة أصدقائهم وصفوة خلانهم، ويمكننا أن نشير هنا الى المعلومة التى رويت على عريب والتى وردت في كتاب الاغانى حينما سئلت عريب المغنية عن أحسن مجلس رأته فأجابت :ذاك يوم شهدت علية بنت المهدى

(43)د.بنت الشاطئ: الاميرة المغنية ،ص40.

مع أخويها ابراهيم ويعقوب ،فبدأت علية فغنتهم من شعرها وصنعتها وأخوها يعقوب يرمز (44)

أحاول أن أناقش موضوعاً مهماً وهو ما أسميته بازدواجية الحياة التى كانت تحياها الاميرة علية والتى ظهرت بوضوح في احتشامها وتقواها وعفتها من ناحية وفى نزوعها للموسيقى وحب الغناء والشعر من ناحية أخرى.

ولعل الدوافع وراء هذه الازدواجية التى كانت تعيشها علية إنما ترجع الى عدة أسباب أهمها:

1-التفاوت في الاصل والنسب :فـ علية من ناحية الاب فهى ابنة الخليفة العباسي المهدى الذى ربى تربية الامراء ، وأعد منذ ولادته ليتولى الخلافة من بعد أبيه الخليفة أبى جعفر المنصور فهو سليل الاسرة العباسية الهاشمية ذات الماضي العريق والمجد الاغر والاعتزاز بالعصبية الدينية التى تصلها ببنى الاسلام ، أما من ناحية الام فهى بنت جارية تدعى مكنونة كانت جارية للمروانية إحدى سيدات بيت مروان بن الحكم وقد فرض عليها الرق ما فرض على مثيلاتها من اتقان صنعة الغناء ، ومن الظهور سافرة في مجالس الطرب حتى لفتت الانظار

(44) الاغانى،ج30،ص212.

بجمالها (45)وحكم لها كما ورد في كتاب الأغانى بأنها اجمل جارية بالمدينة وأحسنهن وجهاً(46)

2–السبب الثاني– في اعتقادي –العامل الوراثي: لا شك أن الاميرة علية ولدت وهى تحمل في دمها وملامحها شيئاً من أبويها بحكم العوامل الوراثية التى أخذتها عنهما ، فقد ورثت عن أبيها النبل وجلال النسب أضف الى ذلك عزة الملك وشرف المكانة وجلال المركز الديني، فكان من الطبيعي أن تميل بالفطرة الى التصوف والوقار والتحفظ ، ولذا بدأت تظهر في مجتمع القصر حسنة الدين ، حريصة على الصلاة والتعبد ،لا تمل قراءة القرآن الكريم فعرف عنها بأنها ذات عفة وتقوى ومناقب.

3–ولا شك أيضاً أنها ورثت عن أمها مكنونة الجمال والظرف وحلاوة الصوت كما ذكر أبوالفرج الأصفهاني في النص المشار إليه ،أو الذهبي(47)

ومن المحتمل أن علية كانت تستمتع الى صوت أمها وألحانها الشجية فيتحرك بداخلها نازع الميل إلى الغناء والموسيقى وربما كانت تجرب صوتها أمام أمها فتعهدتها هذه بالصقل والتهذيب فوجدناها تتصل بغلمان القصر وجواريه ، وتشاركهم الغناء ومن هنا أطلقت لنفسها العنان في نظم الشعر العاطفي الملتهب

(45)د.بنت الشاطئ: الاميرة المغنية ،ص39.

(46) الاغانى:ج2،ص199

(47) الذهبى: ج10،ص187

، وصنعت فيه الالحان المثيرة(التي كانت تغنيها أحياناً أو تدفع بها للجواري يغنيه في مجالس الامراء(48)

لسنا بحاجة الى أن نقول إن أسباب التحرر وميل علية الى الغناء والموسيقى كانت موجودة بطبيعة الحياة الحضرية في العصر العباسى ولا سيما في الفترة التى عاشت فيها الاميرة وهى اواخر القرن الثانى للهجرة وفى هذه الفترة تقول د. عاتكة الخزرجى : إن العرب قد تخلو عن كثير من القيم نتيجة اختلاطهم بالاعاجم وتحرروا بل تحللوا من كثير من التقاليد العربية ودخلت العناصر الاجنبية دماءهم(49)

علية بنت المهدى:

عند دراسة ديوان الاميرة كان أول ما استرعى النظر هو الاثر القرآنى فأنت واجد بين الفينة والفينة ذكراً لبعض الاسماء الواردة فى القرآن ، أو إشارة الى آية من آياته ، مثل قولها من{ }:

1-وحمدت ربى فى إجابة دعوتى ورأيت حمدى عند ذاك قليلاً (50)

أو قولها فى قصيدة أخرى{ }:

1-طالت على ليالى الصوم واتصلت حتى لقد خلتها زادت على العدد

2-شوقاَ الى مجلس يزهو بساكنه اعيذ بجلال الواحد الصمد(51)

---

(48)د.بنت الشاطئ: الاميرة المغنية ،ص40.

(49) د.عاتكة الخزرجى: العباس بن الاحنف ،مجلة مجمع اللغة في دمشق،ج1،العدد48، 1963،ص157.

(50) السيوطى:ص58،في هذا المثال وجميع الامثلة الاخرى التالية سنجد الاثر القرآنى واضحاً

أو قولها من {مجزوء الرمل}:

1–لعن الله أخا البخل وإن صلى وصاما(52)

أو قولها من { }:

1–الله يحفظه ويجمع بيننا رب قريب للدعاء مجيب(53)

أو قولها من { }:

1–وددت وبيت الله فى الحب أننى قدرت على ما تقدرين من الصبر(54)

أو قولها من { }:

1–وعاشق الواحد مثل الذى أخلص دين الواحد البارى(55)

أو قولها من { }:

1–تشاهدت الظنون عليك عندى وعلم الغيب فيها عند ربى(56)

أما فى قصائد علية الغزلية نراها تصف لنا أن الحب طالما تمكن من قلب المحب أصبح شغله الشاغل فتراها تفلسف نشأة الحب وتمكنه من المحب تقول من { }:

1– الحب أول ما يكون جهالة فإذا تمكن صار شغلا شاغلاً(57)

---

(51) الصولى :ص68

(52)الصولى :ص69

(53)الصولى :ص69

(54)الصولى :ص73

(55)الصولى :ص74

(56)الصولى :ص80

وهى ترى أن الحب لا يمكنك معرفته إلا من شخص خبير ومجرب قد عاش تجربة الحب وعاناها تقول من { }:

1-ليس خطب الهوى بخطب يسير ليس ينيبك عنه مثل خبير

2-ليس أمر الهوى يدبر بالرأى ولا بالقياس والتفكير(58)

ولعل تقلب الحبيب وعدم إخلاصه لها هما اللذان كانا يشيعان اليأس فى نفس الاميرة ، وكانت تشعر أن ما تحسه من الحب فى ثنايا نفسها المحبة من ثبات وإخلاص كانت لا تجرى عليها سوى الخيانة والهجر مما دفعها لان تقول من { }:

1-يا حب بالله لم هجرتنى صددت عنى فما تبالينى

2-أين اليمين التى حبفت بها والشاهد الله ثم خنتينى(59)

أو قولها أيضاَ من { }:

1-أما والله لو جوزيت بالإحسان إحساناً

2-لما صد الذى أهوى ولا مل ولا خانا(60)

أو قولها من { }:

1-طال تكذيبى وتصدقي لم اجد عهداً لخلوق

2-إن ناساً فى الهوى حدثوا أحدثوا نقض المواثيق(61)

---

(57)الصولى :ص80

(58) الاغانى:ج20،ص325.

(59)الصولى :ص78

(60)الصولى :ص79

أو قولها من { }:

1–يا خلتي وصفيتي وعذابي مالي كتبت فلم ترد جوابي

2–خنت المواثيق أم لقيت حواسداً يهوين هجري أم مللت عتابي(62)

وعلى الرغم من افتقار الديوان الى الافكار الفلسفية إلا أنك تلمح بعض انعكاسات حول الوجود والموجودات فهى لا تطمئن الى الناس ولا إلى وجود الفضيلة أو الاخلاص فيهم ، ولعل خبرتها السلبية فى الحب هى التى أضفت هذه القناعة على نظرتها تقول من { السريع}:

1–ما ينظر الناس الى المبتلى وإنما الناس مع العافية(63)

أو قولها من { }:

1–رأيت الناس من ألقى عليهم نفسه هانا(64)

نعلم ان علية عاشت فى عصر اختلطت فيه الثقافة الاجنبية بالثقافة العربية فقد كانت لثقافة اليونان والهند والفرس أثر فى ثقافة العرب إذ ذاك وأن الترجمة بلغت اوجها فى عصر المأمون وعلى عهد هارون الرشيد حيث كانت علية وبذا أثر الثقافة الاجنبية واضحا فى الآداب والعلوم وفى الحياة ايضاً فليس عجباً بعد ذلك أن نرى اثر هذه الثقافات واضحاً فى بعض شعر علية فالمحبان لدى علية على نحو ما تقول النظرية القديمة

–روح فى جسدين– تقول من { }:

---

(61)الصولى :ص74

(62)الصولى :ص74

(63)الصولى :ص78

(64)الصولى :ص79

1–قلت والله لا أطعتك فيها هى روحي فكيف أترك روحي(65)

وقولها أيضاَ من { }:

1–ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي كلى بكلك مشغول ومرتهن

2–نور تولد من شمس ومن قمر حتى تكامل منه الروح والبدن(66)

من خلال الابيات السابقة يتراءى لنا صدى أو أثراً لنظرية أفلاطون فى الحب التي ترى ان انجذاب كائنين أحدهما للآخر إنما يعود الى موائمة بينهما ومجانسة تعود الى عمق أعماقها وأصل أصولهما فى الازل ،وأن هذه العواطف التي تشد مخلوقين وتجعل منهما واحداً إنما تعود الى اسرار غامضة (67) وان صدى هذه النظرية الافلاطونية لم يكن مقتصراً على الاميرة علية وحدها دون غيرها وإنما وجدناه فى شعر معاصريها ومن سبقها

وعندما ننظر الى النصف الثاني من ديوان علية نجده يشتمل على وصف الخمر فى ابيات عديدة فمعظم أبيات النصف الثاني من الديوان عبارة عن صورة حية لمجالس الشراب اللاهية لتلك الطبقة البغدادية المترفة التى كانت تعيش فى القرن الثاني للهجرة.

فقد ورد في ديوانها من حين لآخر ذكر للراح والشراب والملهيات فهناك أبيات تصف فيها تعاطيها للخمر ، وكيف أنها كانت تشرب الكأس بعد الكأس

(65)الصولى :ص79

(66) الاغانى:ج10،ص212

(67)عاتكة الخزرجى:ص163.

تاركة الخمر تفعل برأسها ما تفعل دون أن تهتم بلوم اللائمين عليه تقول من { }:

1-لأشرن كأس بعدها كأس راحاً تدور بأخماس وأسداس

2-وأرضع الدر منها باكراً أبداً حتى أغيب فى لحد وأرماس(68)

قولها أيضاَ من { مجزوء الرمل }:

1-ألبس الماء المداما واسقنى حتى أنامل(69)

أو قولها تؤكد على تعاطيها الخمر بل إنها إن لم تجد نديما يشاركها المنادمة والشراب قامت هى بدور النديم والشارب فى آن واحد تقول من {السريع}:

1-خلوت من الراح أناجيها أخذت منها وأعاطيها

2-نادمتها إذا لم اجد صاحباَ أرضاه أن يشركنى فيها(70)

أو أبيات أخر تذكر النديم ومشاركته لها فى الشراب والصحبة تقول من {مخلع البسيط}:

1-قم ياناديمى الى الشمول قد نمت على ليلك الطويل

2-من عاقر الراح أخرسته ولم يجب منطق السؤول(71)

كما وصفت الحياة الحقيقة بأنها تكون مع اللهو والهوى والتصابى والشراب تقول من { }:

---

(68)الصولى :ص74

(69)الصولى :ص69

(70)الصولى :ص72،الصفدى:ج22،ص372.

(71)الصولى :ص77، الصفدى:ج22،ص373.

1–الشأن فى التصابى واللهو والشراب
2–من قهوة شمول فى الكأس كالشهاب(72)

قولها أيضاَ من { }:
1–لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ظبياً غريراً نقى الخد والجيد
2–قد رنحته شمول فهو منجدل يحكى بوجنته ماء العناقيد(73)

أو قولها من { }:
1–ومدمن الخمر يصحو بعد سكرته وصاحب الحب يلقى الدهر سكراناً
2–وقد سكرت بلا خمر يخامرنى لما ذكرت وما أنسانى إنسانا(74)

وفى ابيات أخرى لها تصور الخمر وفتنتها فهى تصبى عقل الناسك العابد بل هى لديها مفرجة للكروب ، تقول:
1–ثم باكرتها عقاراً شمولاً تفتن الناسك الحلم وتصبى
2–قهوة قرفقاً تراها جهولا ذات حلم فراجة كل كرب(75)

وأخيراً فإن النصف الثانى من الديوان مليئا بالابيات التى تذكر فيها الخمر والشراب والنديم ومجالس اللهو ويمكننا ان نستنتج من خلال الابيات السابقة ان علية كانت الى جانب عفتها وتقواها التى عرفت بها كانت تميل الى الشراب فإلى جانب ما ورد فى الديوان من ذكر الخمر فهناك رواية انفرد بها صاحب الاغانى

(72)الصولى :ص81
(73)الصولى :ص83، الصفدى:ج22،ص373.
(74)الصولى :ص77
(75)الصولى :ص59

يؤكد دون أدنى شك على نزوع علية للشراب إذ يقول عن عمه عن ابى العباس ان بشراً المرثدى قال: قالت لى : ريق كنت يوماً بين يدى الرشيد وعنده أخوه المنصور وهما يشربان فدخلت إليه خلوب جارية علية ومعها كأسان مملوءتان وتحيتان مع خادم يتبعها عود فغنتها قائمة والكأس نفى أيديهما، والتحيتان بين أيديهما:

1-حياكم الله خليليا إن ميتاً كنت وإن حيا

2-إن قلتما خيراً لكما أو قلتما غياً فلا غياً

فشربا ثم دفعت إليهما رقعة فإذا فيها: صنعت يا سيدى اختكما هذا اللحن اليوم وألقته على الجوارى واصطحبت فبعثت لكما به وبعثت من شرابى إليكما ومن تحياتى وأحذق جوارى لتغيكما هنأكما وسركما وأطاب عيشكما وعيشى بكما (76)

فواضح من الرواية ان علية كانت تشرب بل وعلى علم من اخويها وانه كان لها الشراب الخاص بها والذى أهدت به أخويها.

بعد هذا العرض لشعر علية يمكننا القول ان ازدواجية الحياة التى كانت تعيشها قد انعكست ايضاً على شعرها وهذا يعلل لنا لماذا جمعت فى ديوانها ما بين (التحفظ والتقوى والشراب واللهو) فهى كما رأيناها متحفظة وملتزمة تارة بحكم ما كان يفرضه عليها مركزها الاجتماعى من وقار وهيبة وتارة أخرى مندفعة وراء ميولها العاطفية ولهوها وشرابها فلا عجب ان نرى الاميرة متناقضة الصور فى حياتها وشعرها ، والسبب إنما يرجع الى تلك الازدواجية التى كانت تحياها.

(76) الاغانى:ج20،ص208.

وبموت هارون الرشيد نجد علية تحزن عليه وتلزم الصمت والعزلة لا تريد شعراً او غناء ، وظلت على حالتها من الصمت والانزواء حتى ألح عليها الامين بأن تغنيه فغنته تقول من { }:

1-أطلت عاذلتى لومى وتفنيدى وأنت جاهلة شوقى وتسهيدى(77)

ثم أنطوت مرة اخرى على احزانها وقد عاصرت المعركة التى دارت بين ولدى أخيها (الامين والمأمون) ورأت مصرع الاول منها ثم تموت بعد ذلك وهى فى الخمسين من عمرها عام 210هـ ، وقد أمضت أعوام من خلافة المأمون ماتت علية وقد تركت بغداد من بعدها ساهرة تردد ألحانها الثمانين وتتناقل اخبار الاميرة العباسية التى ارهقها الحيرة ما بين التقاليد والفن وسبب موتها ان المأمون ضمها إليه فقبلها وهى عمته وكان وجهها مغطى فرشقت وسعلت ثم حمت أياماً وماتت(78)

ونلخص فى النهاية الى اهم نتائج هذه الدراسة:

1-يظهر من خلال شهر علية الذى وصل إلينا أنها كانت تتمتع بموهبة شعرية جيدة وقريحة ميزتها وجعلتها فى مصاف شاعرات عصرها ولعل الاحكام التى أطلقها النقاد القدامى فى تقويم شعرها دليل على صحة ما ذهبنا إليه فلقد وصفها

(77) الاغانى:ج20،ص208

(78) فوات الوفيات،ج3،ص123،سير أعلام النبلاء :الذهبى،مؤسسة الرسالة،ج10، ص188،ط.الاولى،بيروت،1982.

الحصرى بأنها تعدل بكثير من أفاضل الرجال فى فضل العقل ، وحسن المقال ولها شعر راشق وغناء رائع(79)

وقال عنها ابن النجار :ذات صيانة وأب بارع تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الالحان الحسنة ، وله ديوان شعر معروف بين الادباء(80)

2-تبرز براعة علية فى استخدامها للألفاظ والتراكيب واتباعها لأساليب الشعرية المعروفة فى عصرها ، وما تتطلبه من إجادة فى عرض لوحاتها وصورها.
3-جاء شعرها ذا لون ونغمة تكاد تكون جديدة على ادب المرأة فهى ترغب فى التعبير فى الشعر غزلا ولكنها لا تجد متسعاً كافياً من الحرية فى أن تقول ما تشاء ولا سيما وأن الغزل ليس من الموضوعات الشائعة فى شعر المرأة.
4-تدخل علية فى عداد الشاعرات اللواتى روى عنهن الشعر الغزلى الجرئ ، ولعل فى قول ابن النجار عنها ما يدلل على ذلك يقول "كانت تعبر عن نفسها بطلاقة وجرأة(81)

"

(79) نقل قوله السيوطى في النزهة،ص62.

(80)نقل قوله السيوطى في النزهة،ص62.

(81) السيوطى:نزهة الجلساء ،تحقيق د.صلاح الدين المنجد ،ص60- 61.

مصادر البحث ومراجعه

1-أبوالفرج الأصفهاني: الأغاني: تحقيق عبد على المهنا ،بيروت، دار الكتب العلمية.

2-أحمد أمين :هارون الرشيد ،مجلة الهلال ،العدد الثالث، بدون تاريخ.

3-د.بنت الشاطئ: عائشة عبدالرحمن: الاميرة المغنية، العربى ،العدد الخامس ،بدون تاريخ.

4-الموشى:الترجمة للأسبانية ،الاستاذة د.تريزا دارولوا،مدريد،1990م.

5-الجاحظ: (عمر بن بحر) الحيوان ،تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة،1968م.

6-ـــــ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة،1964م.

7-الذهبى: شمس الدين محمد، سير اعلام النبلاء ،تقديم شعيب الارنؤوطى ومحمد نعيم العرقسوس، بيروت، الرسالة ،1982م.

8-الزكلى: خير الدين :الاعلام ،مصر،المكتبة العربية،1927م.

9-زينب فواز :الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور:الكويت، ابن قتيبة،بدون تاريخ.

10-السيوطى :جلال الدين:نزهة الجلساء فى اشعار النساء، تحقيق صلاح الدين المجد، بيروت ،دار الكتاب الجديد،1978م.

11–شارل بيلا: الجاحظ ترجمة للعربية ابراهيم الكيلانى ،دمشق، 1961م.
12–الفدى:صلاح الدين ايبك: الوافى بالوفيات، تحقيق عزمى بعلبكى ،بيروت ،دار صادر.
13–الصولى:أبوبكر محمد بن يحى :أشعار اولاد الخلفاء، بيروت ،دار المسية،1982م،الطبعة الثالثة.
14–الطيب المهدى: هارون الرشيد وحكاية الخلافة العباسية ،كمبدرج، مطبعة كمبدرج، 1999م.
15–د.عاتكة الخزرجى: العباس بن الاحنف، مجلة اللغة العربية فى دمشق، المجلد الاول ،رقم العدد1963،48م.
16–د.عبده بدوى: قضية التعبير عن الحب عند الشاعرات ،عالم الفكر، المجلد الثامن عشر، العدد الثانى،1987م.
17–عمر الخطيب: أميرات شاعرات ،الثقافة ، العدد الاول ،1961م.
18–كحالة"عمر رضا": اعلام النساء ، دمشق ،1940، ودمشق 1959م.
19–ـــــــ: المرأة فى عالمى العرب والاسلام ،بيروت، الرسالة،1982م.
20–محمد الصباح على : العباس بن الاحنف شاعر الحب والغزل ،بيروت،دار الكتب العلمية، 1990م.
21–المهنا:عبدالامير مهنا :معجم الشاعرات من الجاهلية الى الاسلام، بيروت، دار الكتب االعلمية،1990م.
22–الموشى: أبوالطيب محمد بن اسحق، الموشى ،دار صادر،بيروت، 1965م.
23–د.وديعة طه النجم:أضواء على منزلة المرأة فى العصر العباسى ،أضواء الفكر، العدد الاول، 1987م.

24-نبيه عبود: ملكتان من بغداد أم وزوجة هارون الرشيد، طبعة 1986م

هـ-الادب الاندلسى:

المرأة فى شعر المعتمد بن عباد

مقدمة:

تعددت الكتب والدراسات التى خص بها المعتمد بن عباد ملك أشبيلية (1095/488-1068/461) لكنها كانت متفاوته الجودة والدقة والموضوعية العلمية لذا قد يعسر على كل باحث مجد التخلص الى نوع من التجديد فى ميدان كثر طرقه اللهم إلا إذا رام التقصى فى البحث والاستفادة فى الدقائق والتروى فى عرض المشاكل والتأنى فى بسط حلولها مدعماً عمله بمعطيات علمية معتمداً مقاييس تأبى التعاطف والانطباع الشخصى والذوق الفردى.

على ان العناية المفرطة التى حظيت بها دراسة شخصية المعتمد لأقوى دليل على أنها تجاوزت المستوى العادى فى مختلف مظاهرها وفى كل طور من أطوار حياة الشاعر ولقد شهد له بهذا التفوق أدباء ونقاد قدامى ومحدثين نذكر من بينهم على سبيل المثال لا التحديد المقرى الذى خصص له فى نفح الطيب ما لم يخصصه لملك أو شاعر آخر ولاحظ أنه اشتط فى ذلك فقال :وقد جمح بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض الجموح وما ذلك إلا لما علمنا ان نفوس الادباء الى

اخباره رحمه الله شديدة الطموح ،وقد جعل الله تعالى له... رقة فى القلوب وخصوصاً بالمغرب فإن أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم(82)

وصاحب الحلة السيراء يقول: وكان المعتمد من الملوك الفضلاء ومن الشجعان العقلاء والاجواد الاسخياء المأمونين ،عفيف السيف والذيل مخالفاً لأبيه فى القهر والسفك والأخذ بأدبى سعاية .... وكان له فى الادب باع وساع ،ينظم ، وينثر وفى أيامه نفقت سوق الادباء فتسابقوا إليه وتهافتوا عليه وشعره مدون موجود بأيدى الناس ، ولم يك فى ملوك الاندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة"(83)

أما ابن خلكان فيقول:"كان أندى راحة وأرحب ملوك الطوائف ساحة حتى أنه بز والده المعتضد فى مضامير الأدب والشعر وحب الجمال والفنون وأصبح بلاطه ميداناً للشعراء ولم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من اعيان الشعراء والادباء مثل ما كان يجتمع ببابه(84)

ومما يؤكد أن هذا الحكم له جانب من الموضوعية تواترة على مر السنين والقرون فقد قال عميد المستشرقين الاسبان إميليو غرثيا غومث: وإذا كان لابد من تصوير المنحة العامة التى شملت الشعر خلال ذلك العصر فى صورة شخص واحد من أهله فليس أوفق من المعتمدبن عباد صاحب إشبيلية ،وكانأبوه المعتضد(407-461 هـ/1016-1068م)صاحب الافعال الشنيعة ،وأبناؤه جميعاً وخاصة

(82) المقرى:شهاب الدين بن محمد المقرى،نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،القاهرة،1949م،ج6،ص9.

(83) ابن الابار :ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن الابار :الحلة السيراء ،تحقيق د.حسين مؤنس،القاهرة،1963م،ج2،ص54.

(84) ابن خلكان :وفيات الاعيان،تحقيق د.احسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت،ج2،ص412.

الراضى صاحب رندة ولكنه بزهم جميعاً وفاق كل معاصريه فى ذلك المضمار لأنه كان يمثل الشعر من ثلاثة وجوه :أولها أنه كان ينظم شعراً يثير الاعجاب وثانيها أن حياته نفسها كانت شعراً حياً، وثالثها أنه كان راعى شعراء الاندلس أجمعين ،بل شعراء الغرب الاسلامى كله فإلى بلاطه لجأ شعراء إفريقيا وصقلية عندما غزا النورمان بلادهم واستولوا على بعضها وتهددوا الباقى"(85)

ونتفق مع أولئك الذين رأوا فى المعتمد بن عباد نموذجاًأفرزته الارستقراطية الأندلسية فى عهد ملوك الطوائف فهو يمثل بحق تطلعاته ، وحجم طموحاتها ويعبر عن مشاغلها.

كان أهم ما يميز هذا الشاعر الفذ أنه قال الشعر لإرضاء حاجة فيه واستجابة لرغبة غريرزية لا تكسبها ولا تملقاً ولا تزلقاً فأقل ما يمكن أن يقال عنه أنه كان لساناً ناطقاً من حيث شاء أو لم يشأ معبراً عما اضطرب فى نفسه من دل وعز ومجد وفخر وحسب وألم وفشل وأسر وذل وحرمان إنه الشعر الذى نفذ الى صميم النفس الانسانية ليصف خلجاتها فى أروع تجاربها إنه شعر ملك عانى كل أنواع التجربة ووصفها بحرارة قلبه المنفجر ولكنه لم يتخل عن أنفة الملك وشخصية السلطان(86)

(85) إميليو غرثيا غومث: الشعر الاندلسى ،ترجمة د.حسين مؤنس ،القاهرة،1951م،ص47- 48.

(86) جبرائيل: المعتمد بن عباد الملك الشاعر،مجلة الابحاث،العدد(16) 1963،بيروت،ص112.

لقد خلت المرحلة الاولى من حياة المعتمد وهى الممتدة ما بين ولادته الى تربعد على العرش ، من كل معطيات تاريخية مضبوطة ،فكدنا لا نعرف شيئاً عن طفولته ولا يذكر المؤرخون عن هذه الحقبة من حياته إلا تاريخ ولادته وهو فى نفس الوقت محل جدال فيما بينهم ينتقلون الى اول حدث فى حياة المعتمد الرسمية وهو يتمثل فى كونه أصبح والياً على شلب من قبل أبيه المعتضد سنة 444هـ/1052م .

ولد أبوالقاسم محمد بن عباد الظافر بحول الله(87)بمدينة باجةBAJA 431هـ/1040م على حد قول بعضهم(88)وسنة 432هـ/1040م حسب آخرين(89)فهو ابن المعتضد الثانىمن أم تبقى مجهولة الاسم لدينا من بين السريرات الخاصة اللواتى خلف من صفوفهم نحواً من سبعين جارية إلى حريته المحظية لديه من حلائله بنت مجاهد العامر، أخت على بن مجاهد صاحب دانية(90)ولعل المعتمد ابنها.

عاش المعتمد فى الترف والذخ والراحة وهى ظاهرة عرفها كل بلاط أندلسى(91)وكانت حياة الثقافية أيامها فى أحسن مظاهرها فمن الفنون الجميلة الى الشعر والادب الى الموسيقى والرقص والغناء ومما لا شك فيه أن جواً طريفاً لاهياً

(87) عبدالواحد المراكشى:المعجب في تلخيص اخبار المغرب،تحقيق سعيد العريان،القاهرة،1963،ص74.

(88) ابن الابار:الحلة السيراء،تحقيق حسن مؤنس ،القاهرة،1963م، ج2،ص53.

(89) ليفى بروفنسال:مسلموا اسبانيا،ليدن،1932م،ص83.

(90)ابن الابار:الحلة السيراء،تحقيق حسن مؤنس ،القاهرة،1963م، ج2،ص42

(91)ليفى بروفنسال: اسبانياالمسلمة،ليدن،1932م،ج3،ص397.

كهذا يبطل فى الشباب رغبة الدرس والاقبال على التعليم(92)ومما يحتمل أنه كان للمعتمد مدرس خاص به(93)

وقد حاول أبوه أن يمرسه فى الادب والحكم وقيادة الجيش فى بواكير نشأته فجعله يحضر مجلسه ويتردد إليه من صغره فعينه عاملاً على "ولبه" ثم والياً على شلب سنة 444هـ ،فى جنوب البرتغال وهو فى الثالثة عشرة من عمره"(94)

ثم وجهه لفتح مالقة كى يختبر الحرب ويتمرس بفنونها وقد يسرت له الحياة فى شلب بعيداً عن عينى والده سبل اللهو والعبث وكان رفيقه فى شلب ابن عمار الشاعر فنهزا معا بدلو الغواية وأساما مع سرح اللهو والمجون(95)

وكانت الجوارى والسبيئات يملأن مدن الاندلس وكان الغناء فاشياً فى انديتها ودورها فاستمتعاا معا بحياة ماجنة فى الخمر والفسق وبلغ المعتضد خبرها ، ومجونها فنفى ابن عمار من شلب وأبعده عن المعتمد"(96)

وحاول المعتمد فتح مالقة MALAGA فخذل واضطر أن ينهزم خاسراً ، وسمع والده بخذلانه فبعث إليه يؤنبه فخاف المعتمد سطوة أبيه وخشى أن يفتك به كما

(92) ملك اشبيلية الشاعر المعتمد بن عباد تحقيق رضا السنويسى،1985،ص51.

(93)ليفى بروفنسال: اسبانياالمسلمة،ليدن،1932م،ج3،ص408.

(94) ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأوالخبر ،بولاق،1284هـ،ج4،ص157.

(95) الفتح بن خاقان:قلائد العقيان،بولاق،1284،ص5.

(96) عبدالواحد المراكشى:المعجب في تلخيص اخبار المغرب ،تحقيق سعيد العريان،القاهرة،1963،ص72

فتك بأخيه من قبل فلاذ ببلدة "رُندة" لاجئاً وكتب يستعطب والده ،ويعتذر إليه بقصيدة هى من بواكير شعره يقول فى مطلعها {من البسيط}:

1-سكن فؤادك لا تذهب به الفكر ماذا يعيد عليك البث والحذر(97)

ويبدو أن والده قبل استعطافه فعفا عنه وراجعه إليه(98)

وهناك خبر يشير إلى أن والده أوعز إليه مرة أن يصف ترساً لازورديا كان بين يديه ، وقد طوق الذهب ودقت فى وسطه مسامير فقال:{من المتقارب}:

1-مجن حكى صانعوه السماء لتقصر عنه طوال الرماح

2-وقد صوروا فيه شبه الثريا كواكب تقضى له بالنجاح

3-وقد طوقوه بذوب النضار كما جلل الأفق ضوء الصباح(99)

وقد زعم المستشرق نيكل أن المعتمد كان فى الثانية عشرة من عمره حين نظم هذه الابيات وأنه كان لا يزال حدثاً فى رعاية والده فهو يعد له موضوعاً للشعر ويدربه على النظم ""(100)فإذا صح أن المعتمد قال هذا الشعر وهو فى تلك السن فإن هذا يدل على أنه شاعر بفطرته وقد وهب ملكة لم يؤت مثلها إلا القليل من الشعراء .

---

(97) ديوان المعتمد بن عباد ،القاهرة،1951م،ص104.

(98) دوزى:ملوك الطوائف،ترجمة كامل كيلانى،مصر ،1933،ص159- 161.

(99) المقرى :نفح الطيب،ج5،ص234،مصر ،1949م.

(100) Hispano- Arabic poetry by A. R.Nykl. Baltimore, 1946,p,136.

وليس غريباً أن يكون معظم شعره الذى وصل إلينا فى وصف مجالس الانس ، والطرب وفى الغزل والمساجلات قد قيل فى هذه الفترة من حياته ،أى بين الثانية عشر والثلاثين ولكننا نستطيع أن نقول بوجه عام أن الكثير من شعره فى هذه الحقبة كان يدور حول الحياة التى عاشها مع ندمائه ومغنية وجواريه وأن بعضه كان مساجلات بينه وبين الشعراء الذين جمعهم والده فى بلاطه ومنهم ابن عمار أو مراسلات بينه وبين الجوارى فى قصر أبيه أو فى قصره وهو فى شلب أو وصف لبعض مجالس لهوه وأنسه فى منتزهات إشبيلية وشلب ومعظم شعره الغزلى كان فى جوار معروفات لعل منهن اعتماد التى اصبحت فيما بعد ملكة وأما لأولاده الامراء النجباء "(101)

ولما تولى المعتمد الامر بعد أبيه أعاد ابن عمار إليه وعاد إلى لهوه ومجالس أنسه وابتنى القصور ، وكان في واحد منها فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف ماء"(102)

أما العاصمة الأندلسية الجديدة فقد استمرت على حالها تلك أيام المعتضد بن عباد فقد سلك سلوك أبيه مقتدياً به، فجمع حوله الشعراء كثيرين أمثال ابن زيدون

(101) النفح:ج5،ص342– 343.

(102)المقرى:النفح:ج5،ص395

وابنة أبى بكر وابن عمار وابن وهبون وابن لبانه وابن حمديس ، وابن عبدالصمد وابن القصيرة ، وابن المصري وغيرهم"(103)

وكان يعقد للشعراء مجلسه يوم الاثنين بقصره ، وكان شعراء البلاط الرسميون يقيمون بالدار المخصصة لهم ويتقاضون معاشاً من ديوان الشعراء الذى أنشأه المعتمد خصيصاً لهذا الغرض "(104)

أكثر المعتمد من الجواري وحفظ لنا شعراء اسماء بعضهن مثل: وداد ، قمر، سحر، جوهرة، ولكنه لم يهمل شئون الدولة ، بل اخذ بتوسيع مملكته ،واحتل قرطبة التى كانت استعصت على والده واستولى على مرسية ، وعين ابن عمار والياً على شلب(105)ثم استدعاه الى اشبيلية وجعله وزيرا عنده واصطفاه لمنادمته في مجالس سرية ومرافقته في مغانى لهوه ، واتخذه خدينا يساجله ويشاطره اللذات (106)

وبعد أن أطمأن المعتمد الى ما انتهى إليه من نصر وتثبيت قواعد ملك بنى عباد أخذ يلهو دون أن يحسب لسخرية الاقدار اى حساب.

هذا الشاب الذى كان أندى ملوك الاندلس راحة ،وأفضلهم سماحة كما وصفه معاصروه ، والذى كانت حضرته محط الرجال ومأنف الفضلاء والذى كان يشترط

---

(103) المراكشى:المعجب،ص158.

(104)المقرى:النفح:ج2،ص468

(105)المراكشى:المعجب،ص73

(106)المراكشى:المعجب،ص73

فيمن يصبح وزيراً أن يتميز بصفات أقلها أن يكون أديباً شاعرا ، لقد طغت شاعريته على تفكيره .... وخضع لسلطان المرأة .

فأما الشعر فكان ينبع من ذاته ووجدانه ، وكان يراسل به وزراءه وأصفياءه وآله وذويه حتى جواريه كان يراسلهن بالشعر .

وتصف لنا كتب الادب هذه المساجلات والمراسلات بإسهاب ، ولا سيما أخباره مع الوزير الشاعر ابن عمار وكان من اخلص أصدقائه ، وأقربهم إليه ، وكذلك ابن زيدون"(107)

ولعل شاعريه المعتمد المرهفة هي التي جعلته يعيش في جو عبق مسكر من نعيم المرأة ، فقد أشار ابن الابار الى وجود ما يناهز ثمانمائة امرأة ما بين الزوجات والجواري ، في قصر المعتمد في الوقت الذى أبعد فيه ونفى إلى أغمات"(108)

ويبدو تحرز د. صلاح خالص من هذه المبالغة على الصواب(109)فهو عدد كبير خصوصا إذا ما قارناه بما كان للأندلسيين بصفة خاصة ، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة من رأى في دور المرأة في حياة الأمير الشخصية (110)ولئن كان هذا

---

(107) المعتمد:المعتمد بن عباد وانتاجه الشعرى،د.رضا السويسى،نشر الجامعة التونسية،1977م،ص124

(108)ابن الابار:الحلة السيراء،وما اوردهDozy فى كتابه وضع العرب فى حكم بنى عباد ،ليدن،1852م،ج2،ص63،تحقيق حسن مؤنس ،القاهرة،1963م، مجلدين.

(109) المعتمد:د.صلاح خالص،بغداد،1958،ص60- 61.

(110) ابن شاكر الكتبى:فوات الوفيات ،القاهرة ،1951م،ج4،ص116

العدد مبالغاً فيه فالواقع أنه كان يعيش في فيض من سحرهن وكان إلى ذلك مولها بالشراب مثل الكثير من ملوك عصره .

ولعل الترف والنعيم والخمر والأندلسيات الفاتنات كل هذا قلب كيان هذا الانسان من قائد بطل يعيش في جحيم المعارق التى تصون الحمى والذمام ،إلى ملك مترف يعيش مع الاهواء وينعم بالمباهج واللذات ، وما كان شئ أحب الى نفسه والى قلبه من جارية جميلة تحسن قول الشعر وتجيد سحر الحديث ، وتبادل الكأس بالكأس "(111)يقول (من الكامل):

1-ولقد شربت الراح يسطع نورها والليل قد مد الظلام رداء
2-حتى تبدى البدر في جوزائه ملكا تناهى بهجة وبهاء
3-وحكيته في الارض بين كواكب وكواعب جمعت سنا وسناء(112)

ونراه يتغنى بجمال المرأة فيقول (من الطويل):

1-هى الظبى جيداً والغزالة مقلة وروض الربى فواحا وغصن النقى قدا(113)

فجواريه وزوجاته اللواتى ملكن لبه أكثر من واحدة ، وتشير كتب الادب الى اللواتى خصهن بشعره فإذا هن كثر ... منهن سحر ، ووداد وجوهر ، وقمر ومها على ان واحد طغى حبها على حب ....إنها اعتماد الرميكية ، أحظى امرأة عنده

(111) سامى الكيالى:مع بنى عباد في اشبيلية،مجلة المعرفة،العدد26، 1964،دمشق،ص27.
(112) الفتح ابن خاقان:قلائد العقيان ، طلعه بولاق ، 1283 ، ص 6 ، النفح : جزء 6 ، ص 17
(113) ديوان المعتمد : تحقيق د.رضا السويسي ،تونس ، 1985 م ، ص 41

كان يأنس بها ويستظرف نوادرها ، كانت حلوة الحديث مليحة الوجه(114)شاءت الاقدار أو الصدف أن يلتقى بهذه المرأة التى أسرته ،وملكت لبه ،فتاة ريقة الصبا جمعت الى الذكاء سرعة البديهية في قول الشعر الى رواية القصص فما كاد يلتقى بها حتى هزت فؤاده هزا تلك هى الرميكية التى احبها حبا فاق حبه لكل زوجاته وجواريه.

قيل أنه كان في نزهة مع صديقه ابن عمار على ضفاف نهر الوادى الكبير "فنظر الى صفحة الماء الهادى ، وقد ارتعشت تحت لمسات النسيم فقال مرتجلا(من الرمل)

<<– صنع الريح من الماء زرد>>

ثم قال لابن عمار :أجز:فأطال ابن عمار الفكر فقالت امرأة من الغاسلات":

<< –أى درع للقتال لو جمد–>>

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر إليها فإذا هى صورة حسنة فأعجبته فسألها :أذات زوج هى ؟ فقالت :لا فتزوجها وولدت له الملوك النجباء (115)

(114) النفح: جزء 6 ، ص8

(115) النفح :ج 5 ، ص345 ، دول الطوائف : محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، 1960 ص67 _ 68

ليس جمال هذه الجارية ، هو الذى سحره فربما كان فى القصر أجمل منها، وأكثر جاذبية ليس جمالها فحسب بل ذكاءها ، وسرعة خاطرها.

ويجب التوقف حيال القصة السابقة ،فمن الواضح أن البداهة التي حضرت هذه الغاسلة ، ما هى فى الواقع إلا مجرد خرافة ،ليس في امكاننا تصديقها ،ولا شك أنها صدفة سعيدة "لكن العنصر القصصي طغى على صيغة الحدث ولك أن تسأل :كيف أمكن لهذه الحسناء ،أن توجد فى نفس المكان وفى تلك اللحظة ،بل وعلى مقربة من الصديقين ،دون أن يلتفتا إلى وجودها من قبل ؟وكيف أمكنها أن تسمع فتدرك صدر البيت حتى تقول على البداهة عجزه؟

فلسنا نطمئن كثيراً لهذه الرواية ،التى تذهب إلى أن سبب اختياره لاعتماد زوجا له صدفة، إذ أثر الصنعة بين فيها(116)

،اضف الى ذلك أن ابن عمار لم يكن بالشاعر الهين ،ليعجز وتنجده مثل هذه الجارية ،والذى نراه أقرب الى الحقيقة ،هو أن المعتمد وابن عمار ألفا التردد إلى ذلك الوادى البهيج ،للتنزه والتعرض للحسان ، كما كان أهل اللهو فى المدينة فى الحجاز يفعلون فى متنزه العقيق. (117)

---

(116) النفح : جزء 5، ص 141 ،علي ظافر : بدائع البداءه ، القاهره ، 1278 ، ص37 ،ديوان ابن حمديس ، بيروت 1960 ، ص 168 ، تروي هذه الرواية منسوبة لغير اعتماد والمعتمد

(117) جبرائيل جابور : مواسم العقيق واثرها في الغناء والشعر العربيين ، مجلة الابحاث ، دار الكتب ، دمشق ، 1962 ، العدد 3 ، ص 342 _ 343

وأنه رأى جمال هذه الفتاة فأعجبه ،وحادثها فوقعت فى قلبه ،وسعى فابتاعها من سيدها ،وليس غريباً أن تكون هذه الجارية قد عرفت بالشعر والغناء ، قبل تلك المقابلة المزعومة ، ويؤكد هذا أنه –المعتمد–له فيها شعراً كثيراً يستدل منه على أنه قيل فيها ،قبل أن صارت إليه ، ولا نستغرب أيضاً ،أن يكون هو الذى سماها "اعتماد" على اسمه بعد أن عرف بحبها وشهر بذلك ،فقد لقبه والده بالمعتمد على الله كما يذكر المراكشي"(118)جرياً على عادة العباسيين ، بل ربما كان يراسلها وتراسله قبل أن صارت إليه ، ويبدو أن مقطوعته التي ضمن أوائل أبياتها حروف اسمها "اعتماد" قد أرسلها إليها قبل أن تصبح زوجاً له ،فقد قالها وكتبها ، وبعث بها إليها وهو عائب عن أشبيلية ،يقول (من المتقارب):

1- أغائبة الشخص عن ناظرى وحاضرة فى صميم الفؤادى

2-عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشؤون وقدر السهاد

3-تملكت منى صعب المرامى وصادف ودى سهل القياد

4- مرادى منى صعب المرامى وصادف ودى سهل القياد

5-أقيمى على العهد ما بيننا ولا تستحيلى لطول البعاد

6-دسست اسمك الحلو فى طى شعرى وألفت فيه حروف "اعتماد"(119)

ما يعنينا من هذه القصة السابقة هو أن المعتمد وقع فى حب هذه الشاعرة الحسناء ، وجمالها الخلاب الفاتن ،فقرر التزوج بها فوراً ، ولم يعلم منها إلا كونها

(118)المراكشى:المعجب،ص62

(119) الحلة السيراء : ج 2 ، ص 61 ، ونخل بالنيسيا ،تاريخ الفكر الاندولسي ترجمه فيكتور حسن مؤنس ، القاهرة ،1955، والنسخه الاسبانية

جارية لسيدها ، وهو تاجر بإشبيلية ، اسمه الرميك بن الحجاج، ولم تكن زوجة سيدها.

لطف ورقة ودلال(120)وخفة روح وحذق ، وبداهة خاطر ، تلك هى سمات هذه المحظية التى كانت غاية فى الجمال ، واعية لما كان من سلاح فتاك، تستولى به على القلوب ، فتسطو فامتلكت لب المعتمد ، وحبست عليه مشاعره ،وأثرت فيه أيما تأثير.

وقد حاول البعض أن يستنقص أخلاقها ، وأن يرد استهتار المعتمد فيما بعد إلى هذا التأثير الشنيع إلى حد قولهم(121)

وقد ورد أن المعتضد غضب من ابنه المعتمد لأنه لم يستشيره في زواجه من اعتماد وأمره بطلاق زوجته ، ومضى زمن ثم ذهب الملك الى بيت ابنه فاستقبلته "اعتماد" حاملة بين ذراعيها وليدها ، فضعفت المعتضد لهذا المرأى ، وانهار غضبه ، فسمح لابنه الإبقاء عليها(122)

(120) النفح : جزء 1 ص 415 ،،وابن عبدالله تيجان الاندلسي : تحفه العروس في بني عباد مخطوطه الاذكواوريال رقم 592 ، ج 2 ، ص 152

(121) مسلمو اسبانيا : ليفي بروفسال ، ليدن ،1932،ص89_146

(122) المعتمد : ص 33

وكان هذا الوليد ، وهو أول أبناء المعتمد "واليا فيما بعد على قرطبة ، وهو سراج الدولة عباد بن المعتمد ، والذى سيقتل فيما بعد ، وهو في السادسة عشرة من عمره سنة 467هـ/ 1076م. (123)

وقد رثاه المعتمد بقوله(من الطويل):

1-ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض(124)

ويمكن أن نستنتج من هذا التاريخ ، تاريخ زواج المعتمد من الرميكية ، أنه وقع فى سنتى 450هـ-451هـ/1058-1059م.

وقد تناصف كل من ابن عمار وزير المعتمد وصديقه المقرب ، واعتماد الرميكية زوجته وحبيبته وأم أولاده مكانة لدى المعتمد حتى أنه سرى الى ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة الى بعض كرمائه – والغالب أنها الرميكية –شعراً يتعذر فيه عن عدم اللحاق بها ، وآخره:

<< إن شاء ربى وشاء ابن عمار>>(125)

يقول (من الطويل):

1-خليلى قولا:هل على ملامة إذا لم أغب إلا لتحضرني الشمس؟

2-واهدى بأكواس المدام كواكباً إذا أبصرتها العين هشت لها النفس

---

(123) الخريدة : خريدة القصر وجريده العصر ،العماد الاصفهاني ، مخطوطه مصر رقم 4255 ، تحقيق العروسي والجيلاني يلحاج يحي ، تونس ، 1971 _1972 ، ج 3

(124) ديوان المعتمد تحقيق د رضا السويسي ، جامعة الفتح – ليبيا ، 1974 م ، رقم 110

(125) الزخيرة في محاسن اهل الجزيرة : لابن عباس الشنتيريني ،ج2 رقم 22 ،ص 236

3–سلام سلام أنتما الانس كله وإن غبتما أم الربيع هي الأنس(126)

ومما يروى فى كتب الأدب عن اعتماد أنها صاحبة يوم "الطين" وخلاصة القصة أنها رأت ذات يوم فى إشبيلية بعض البدويات من بائعات اللبن حاملات القرب يمشين حافيات فى الطين كاشفات عن سوقهن ،فاشتهت أن تفعل هى وجواريها مثل أولئك النساء ، ويمشين فى الطين فأمر المعتمد فسحقت الطيوب وذرت فى مساحة القصر حتى عمته ، ثم نصبت الغرابيل بالأيدي ، حتى عادت كالطين ، وهيئت القرب مربوطة بحبال الابرايسم (الحرير) فحملتها هى وجواريها وخرجن يخضن فى الطين(127)

لقد ضن المعتمد على اقدام اعتماده الناعمة ، أن تلوث بغير الطيب والغالية حين تمنت الخوض فى الطين، مثل البدويات ، فقد كان لرغباتها وما تطلبه وتشتهيه وقع السحر فى نفس المعتمد .

وقد ذكر أنها غاضبته فى بعض الأيام ، وأقسمت أنها لم تر منه خيراً فقال: ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت"(128)

وكان لها كل يوم طلب ، وكل ساعة نزوة فمن نزواتها المسرفة ما ترويه كتب الأدب "أنها طلبت إلى المعتمد أن يريها الثلج ، فزرع لها اشجار اللوز على جبل قرطبه ،حتى إذا نور زهره بدت الاشجار كأنها محملة بالثلج الأبيض(129)

---

(126) ابن عمار : محمد ابن عمار : د صلاح خالص : بغداد ، 1975 ، ص 236 ، رقم 22 ، والنفح : ج6 ، ص49

(127) النفح ج 1 ، ص 415

(128) النفح ج 6 ، ص 9 ، ج 1 ، ص 415

على أن زوجته وريحانة نفسه اعتماد الرميكية ، ظلت الحبيب الاول ، ومالكة زمامه وبرغم تدلهه فى حب الكثيرات من جواريه ،فإنهن لم يستطعن أن يزحزحن زوجته الحبيبة عن مكانها وقد عبر عن ذلك فى قوله: فما حل خل من فؤاد خليله محل "اعتماد" من فؤاد "محمد" ولما طافت بنفسها الشبه مرة ،رأى أن يرد عليها ثقتها به بقوله (من الطويل):

1-تظن بنا أم الربيع سآمة ألا غفر الرحمان ذنباً تواقعه!

2-أأسام ظبياً فى ضلوعى كناسة وبدر تمام فى فؤادى مطالعة؟

3-وروضة حسن أحبتى من ثمارها وبارد ظلم لم تكدر شرائعه؟

4-إذا سئمت كفى نوالاً تفيضه على معتفيها أو عدوا تقارعه(130)

وفى مقطوعة أخرى يذكر فيها اسم "اعتماد" يقول (من كامل)

1-بركت تلوم وفى الفؤاد بلابل سفها وهل يثنى الحليم الجاهل؟

2-يا هذه كفى! فإنى عاشق من لا يرد هواى عنها عازل!

3-حب اعتماد فى الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل

4- يا ظبية سلبت فؤاد محمد "أولم يروعك الهز بر الباسل؟"

5-من شك أنى هائم بك مغرم فعلى هواك له على دلائل

6-لون كسته صفرة ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل(131)

---

(129) تاريخ العرب : حتي وجرجي وجيور ،بيروت ، 1960 م ، ج 2 ، ص 642 ، نفح الطيب : جزء 2 ، ص 65 ، حيث نجد ان الناصر كان قد فعل شيئا مثل هذا لجاريته الزهراء

(130) ام الربيع هي كنية اعتماد الرميكيه زوجة المعتمد . خريدة القصر : ج 2 ، ص 31 ، الزخيرة : ج 2 ، ص 10 ، 13 ، الحلة السيراء ، ج 3 ، ص 60 _ 61

(131) الحلة السيراء : ج 2 ، ص 60_61 ، خريدة القصر : ج 2 ، ص 31

وورد في "قلائد العقيان" حديث للمعتمد مع وزيره يصف فيه زيارة الرميكية له، يقول (من الطويل)

1-أباح لطيفى طيفها فى الكرى الخد فعض به تفاحة واجتنى وردا!
2-وألمتنى تغرا شممت نسيمه فخيل لى أنى شممت به ندا!
3-ولو قدرت زارت على حال يقظة ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
4-أما وجدت عنا الشؤون معرجاً ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
5-سقى الله صوب القطر أم عبيدة كما قد سقت قلبى على حره بردا(132)

وجاء هذا المطمح :وهو أى المعتمد القائل وقد حن إلى أهله وهو فى طريقه الى افريقية ، ولما قصد يوسف بن تاشفين يستنجده سنة 481هـ/1088م، يقول فى اعتماد (من الطويل)

1-أدار النوى كم فيك تلددى وكم عقتني عن دار أهيف أغيد؟
2-حلفت به لو قد تعرض دونه كماة الأعادي فى النسيج المسرد
3-لجردت للضرب المهند فانقضى مرادى وعزما مثل حد المهند
4-فما حل خل من فؤاد خليله محل اعتماد من فؤاد محمد
5-ولكنها الاقدار تردى بلا ظبى وتصمي بلا قتل وترمى بلا يد(133)

ولما ألقى القبض على ابن عمار ضربه المعتمد بالطبرزين على رأسه ففلقه ، وترك الطبرزين فى رأسه ،فقالت اعتماد "قد بقى ابن عمار هدهداً(134)

(132) المغرب في حلي المغرب : ج 2 ، ص 87 _ 88 ، وام عبيدة هي ام الربيع أي اعتماد زوجة المعتمد
(133) مطمح الانفس : ص15 ،النفح : ج 5 ، ص 358
(134) نفح الطيب ج 5 ، ص243 ، والمعجب ، ص 80 ، ومطمح الانفس : ص 98 _ 99

والقصة هى أن المعتمد غضب على ابن عمار لعصيانه أمره واهماله طلبه بعد أن داخله الزهو والعجب وحدثته نفسه بالفتنه والثورة على سيده.

فنظم المعتمد أبياتاً يعرض فيها بابن عمار وقد تجلت فى الابيات براعة المعتمد فى الهجاء الساخر والتعرض الفكة ، وبدأها بالاشارة الى بنى عمار تعليقا على قول ابن عمار عن نفسه رجل الحقيقة من بينى عمار فى قصيدة كان قد بعث بها الى المعتمد ، بعد أن اشتد حقده على المعتمد وأخذ يعمل الحيلة فى الاضرار به وتقبيح وصفه والتشهير به وإغراء أهل بلنسية به ، وتحريضهم على القيام عليه يقول المعتمد معرضاً بابن عمار: (من الكامل)

1-الأكثرين مسودا ومملكا ومتوجا فى سالف الاعصار

2-المكثرين من البكاء لنارهم لا يوقدون بغيره للسارى

3-والمؤثرين على العيال بزادهم والضاربين لهامة الجبار(135)

ولما سمع ابن عمار هذه القصيدة أثارته وأغضبته ومست كبرياءه وأنفته وحاول أن يقاوم غضبه ويكبح نفسه ولكن نوازع الشر تغلبت عليه ، وتصرفت به وقد اختار المعتمد ان ينازله فى الميدان الذى يعد نفسه فى طليعة أبطاله ، وحاملى لوائه فيقبل ابن عمار هذا التحدى وينظم قصيدة فى الرد على المعتمد بالغة العنف موجعة الهجاء ،سب فيها المعتمد وزوجته الرميكية وأولاده سباً قبيحاً واسف فيها إسفافاً كان يجمل به أن يترفع عنه قال فى مطلع القصيدة.

1-ألا حى بالغرب حياً حلالاً أناخوا جمالاً وحازوا جمالاً

2-وعرج بيومين أم القرى عسى أن تراها (هناك)خيالاً

(135) الذخيرة : (أ) القسم 2 ، ص 372 ، 273 ، والحلة السيراء : ج 2 ، ص156 ، 157 الطربزين : هي فاااس كالمطرقة ، اهداها اليه الفونس السادس

ويومين: اسم القرية التى نشأت فيها أولية بنى عباد فى أشبيلية وعرض باعتماد الرميكية وأولادها من المعتمد قائلاً:

1-تخيرتها من بنات الهجين رميكية ما تساوى عقالاً

2-فجاءت بكل قصير العذار لئيم النجارين عما وخالاً

3-قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قروناً طوالاً(136)

نظم ابن عمار القصيدة النكدة فى ثورة من ثورات الغضب أنسته جميع الاعتبارات وبهذه القصيدة قضى ابن عمار على كل أواصر الود بينه وبين المعتمد وأصبح الصلح بينه وبين المعتمد غير ميسور ،فلا هو ولا الرميكية ولا أولاده يمكن ان يتسامحوا فى قبول هذا الهجاء القاسى وقد دل ابن عمار بهذه القصيدة على خسة وسوء أدب متناهيين وتطاول تطاولا غير مستساغ على ولى نعمته ، الذى أخذه من حضيض المهانة ورفعة الى الذروة ، وقد أكثر من الاعتذار عن هذه السقطة بعد وقوعه فى يد المعتمد وإلقائه فى السجن وهكذا دخل ابن عمار قرطبة مقيداً مهيناً بعد الرياسة والنفوذ الشامخ ، وادخل على المعتمد وهو على تلك الحالة المزرية فجعل المعتمد يعدد عليه أياديه ونعمه ، وابن عمار فى ذلك كله مطرق لا يتكلم ولما أتم المعتمد كلامه قال ابن عمار :ما أنكر شيئاً مما ذكره

(136) النفح جزء 5 ، ص 343 ، والفتح بن خاقان : مطمع الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس ، طبعه القسطنطينية، 302 ، ص98 _99 والحلة السيراء : 63

مولانا ،وأبقاه الله ولو انكرته لشهدت على به الجمادات فضلاً عما ينطق ، ولكنى عثرت فأقل وزللت فاصفح "فقال له المعتمد :هيهات إنها عثرة لا تقال"(137)

وأمر به فأخذ فى النهر إلى أشبيلية ، فدخلها على الحال التى دخل عليها قرطبة وجعل فى غرفة على باب قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك وطال سجنه ، فبعث ذلك الامل فى نفسه وكتب من السجن بقصائد يعتذر بها ويلتمس الاقالة عن ذنبه ولكن الغضب كان قد استولى على المعتمد ، فلما دخل على ابن عمار علم ان ساعته الاخيرة قد دنت فجعل يزحف وقيوده تثقله حتى أكب على قدمى المعتمد يقبلها والمعتمد لا يثنيه شئ ، ولا تأخذه شفقة ولم تزل يضربه بالطبرزين(138)حتى برد ورجع المعتمد فأمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك وطابت نفس اعتماد(139)

ولكن اندفاع المعتمد وراء الاهواء ، وانصياعه لنزوات الرميكية أثار عليه الفقهاء ونقم عليه الجمهور الذى اتهمهما بأنها : ورطت المعتمد فيما ورطته من الخدعة والاستهتار والمجاهرة حتى كتب عليه أهل إشبيلية بذلك ، وبتعطيل صلوات الجمع عقوداً ورفعوها الى أمير المؤمنين.

(137) المعجب : ص 80

(138) النفح : ج 5 ، ص 343 ، والمعجب : ص 80

(139) النفح : ج 6 ، ص 8

وبالرغم من الثورة التى اندلع لهيبها على ألسنة الفقهاء وفى ضمائر الدهماء ، ظل المعتمد في معابثاته ،يشرب ويطرب ويقول الشعر ، ويجمع حوله القينات والجوارى اللواتى شغلنه عن كل مشاغل الدولة وأحدثها.

وحين أحس بالمؤامرات التى أعدها له ابن تاشفين للقضاء عليه وعلى أسرته ، وبعد أن استولى على قرطبة ورنده ، وقتل ولديه وبعد ان رآه يسير جيشاً ثالثاً بقيادة سير بن ابى بكر الى اشبيلية للقضاء على مملكة بنى عباد قضاء نهائياً مد يده الى ألفونسو وكان قد اخذ على نفسه أن لا يقع في هذا الوزر ، وان لا يسمع عنه أنه أعاد الاندلس دار الكفر وهو الذى اقسم ان" رعى الجمال خير عنده من رعى الخنازير "(140)

نسى كل ذلك ومد يده الى عدوه الطبيعي ،إلى ألفونسو السادس ، الذى لم يبخل عليه فأمده بجيش ولكن المرابطين سرعان ما أدركوه فهزموه بعد أن قوضت جيوش ابن تاشفين سلطان حكم المعتمد ، وبعد أن خلع عن عرشه ، وصدرت الاوامر بنفيه اعدت له ولعائلته ولذويه وحاشيته السفن لمغادرة إشبيلية ،فنزلوها جازعين ، وقد حملوا الأقل الأقل من حاجياتهم الضرورية .

وقد وصف لنا الشاعر الدانى ، وهو من خلص أصدقائه هذا الوداع بقصيدة صادفة النبرات يقول فيها:

(140) النفح : ج 6 ، ص 91 _93 ، والمعجب : ص 81

1–تبكى السماء بدمع رائح غادى على البهاليل من أبناء عباد(141)

وفى المنفى بأغمات يقضى المعتمد وجميع أفراد عائلته أياماً سودا في السجن فمن القصر الشامخ الذرى حيث الملك العريض الى الغرف الضيقة والاسوار العالية ، والحياة الخشنة فما كادت حبيبته اعتماد تدخل هذه الاقبية الموحشة حتى ضاق صدرها ،وكادت تختنق وبعد أن أجهشت بالبكاء خاطبت زوجها بقولها :ياسيدى لقد هُناً هنا

وسرعان ما نظم المعتمد هذه الدمعة ببيتين يقول من (مجزوء الرجز)

1–قالت:لقد هنا هنا مولاى :أين جا هنا؟

2–قلت لها: إلى هنا صيرنا إلهنا! (142)

لقد ضاع ملك المعتمد ، ومرت الأيام سريعاً وهو في سجنه ، ومعتقله ، حتى أطل فجر العيد ، وللعيد تقاليده ومواسمه وهباته.

أى عيد هذا الذى يواجهه وهو خاوى الوفاض مغلول اليدين وزوجاته وبناته في الاطمار البالية لا يرفلن بالدمقس والحرير ولا يتطيبن بالطيب والعطور.

وانحدرت الدموع من عينيه ولسان حاله يقول:

(141) النفح : ج 5 ، ص 243 ، ابن العماد ، ابو الفلاح عبدالحي الحنبلي ، شذرات الذهب ، مطبعة القدسي ، القاهره 1350 ، ج 3 ، ص 389

(142)

عيد بأية حال عدت يا عيد.....، وما هى إلا لحظات معتمه من الصمت حتى فاض قلبه الحزين بهذه الأبيات تصور مضضه وبرمه بهذه الأيام السود التى يحياها وعائلته :

1–فيما مضى كنت بالاعياد مسروراً فساءت العيد في أغمات مأسوراً

2–نرى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس وما يملكن قطميراً

3–برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

4–يطأن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

5–قد كان دهرك أن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهياً ومأموراً(143)

وأسرت ابنته بثينة وبيعت ظناً من آسرها إنها إحدى جوارى جواريه ، وانتقل من بقى من أهله معه الى اغمات ، وأخذت بعضهم يكسب عيشه بيده ،فبنت تعمل في الغزل وابن صانع عند صائغ ويظل في أسره أربع سنين حتى يموت سنة 488هـ"(144)

والمقرى هو الكاتب الوحيد الذى حدثنا عن بثينة(145)بنت المعتمد مدفوعاً بهذا الاهتمام الذى يعترف بأنه أثار مشاعره بعمق تجاه المعتمد وحظه العاثر هو وأسرته ، بقوله عن بثينة : إنها كانت نحواً من أمها الرميكية في الجمال والنادرة ونظم الشعر ، ثم يصف بعد ذلك الموقف الذى كتبت أشعارها الوحيدة التي تحفظ

(143)قلائد العقيان : ص28 ، النفح : ج 6 ، ص 9_10 ، وفيات الاعيان : ج 4 ، ص 127

(144)النفح : ج 6 ، ص20 ، 356 ، 391

(145) GARULo, Teresa,Diwan de LAS POeTISAS DE AL–ANDALUS ,MADRID,1986.P.63–
PERES,H,AL POESIA ANDALUS EN ARABE CLASICO ,TRAD ESPANOLA POR M GARCIA – AREMAL ,ESPLENDOR DE LA–ANDALUS.P.340–340.

لها يقول :لما أحاط المرابطون بأبيها في إشبيلية ، واستولوا على المدينة نهبوا القصر وكانت بثينة من جملة من سبى ، وفى أثناء الفترة اللاحقة التى كانت طويلة وأليمة ، وكان أبواها في وصله دائم لا يعلمان ما آل إليه امرها الى ان كتب إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب ، والذى تحكى فيه أن احد تجار إشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه ، فنظر في شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت ، وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك إلا بعقد النكاح إن رضى أبى وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها وانتظار جوابه ، فكان الذى كتبته بخطها من نظمها ما صورته(من الكامل):

1-اسمع كلامي واستمع لمقالتي فهي السلوك بدتمن الاجياد
2-لا تنكروا أنى سبيت وأننى بنت لملك من بنى عباد
3-ملك عظيم قد تولى عصره وكذا الزمان يؤول للإفساد
4-لما أراد الله فرقة شملنا وأذاقنا طعم الأسى عن زاد
5-فخرجت هاربة فحازنى امرؤ لم يأت فى إعجله بسداد
6-إذا باعنى بيع العبيد فضمنى من صاننى إلا من الانكاد
7-وأرادنى لنكاح نجل طاهر حسن الخلائق من بنى الانجاد
8-ومضى إليك يسوم رأيك فى رضى ولأنت تنظر فى طريق رشادى
9-وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن والاسعاد(146)

(146)النفح : ج 4 ، ، ص 284 _285 ، ودوزي "الجامع لاخبار دولة بني عباد "ليدن ، 1864 _ 1853 ، ج 2 ،ص 153 _ 145 ، وهنري بيريس : الشعر الاندلسي : ص430 _ 431 الطبعه الاسبانية.

فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات واقع فى شراك الكروب والازمات سر هو وأمها بحياتها وأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتهما وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبى المذكور ، وكتب إليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور يقول (من السريع):

1-بنيستى كونى به برة فقد قضى الوقت باسعافه(147)

وجاء فى المعجب اتفق أن السيدة الكبرى اعتماد أم بنية اعتلت وكان الوزير أبو العلاء زهر بن عبدالملك بن زهر بمراكش (يقول ابن داحية فى المطرب : قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه ، فكتب إليه المعتمد راغباً فى علاج السيدة ومطالعة أحوالها بنفسه فكتب إليه الوزير مؤدباً حقه ومجيباً عن رسالته ومسعفاً فى طلبته(148)

بعد الاطلاع على مكانة اعتماد فى حياة المعتمد الخاصة والعامة أحياناً إذكانت أم أولاده السبعة :عباد والراضى ، والرشيد والمأمون والمعتد والربيع وأبى هاشم المعلى ، وكان يكنيها بأم الربيع وبالسيدة الكبرى(149)وبأم عبيدة(150)نستنتج أن اعتماد كانت وفية لزوجها قاسمته السراء والضراء فإن كانت تشاركه أفراحه فى مجالس أنسه لما كان ملكاً فقد شاطرته آلام المنفى بأغمات حيث توفيت ولعل

(147) النفح:ج4،ص485.

(148) المعجب:ص216

(149)الحلة السيراء:ج2،ص43- 62

(150)الحلة السيراء:ج2،ص81- 82

وفاتها التى سبقت بأيام قلائل وفاة المعتمد ، ناتجة عن حنينها الى وطنها الى وطنها العزيز وفردوسها الضائع (151)

وما أمكن للمعتمد أن يقوى على وفاتها ، وأن يصبر على قساوة الزمان الغادر فقد اسرعت روحه الى اللحاق بروحها تناجيها فى عالم خال من دناءة البشرية وسخافاتها.

واستغرب بعض النقاد البون الشاسع الذى يفصل بين ما أخبرنا به المؤرخون ومدى الحب العميق الذى كان يربط المعتمد بزوجته وأم أولاده فإنه لم يتغن بها الى فى ثمانى قطع من شعره ، سواء ذكر اسمها أم لم يذكر فإن هذه القطع الشعرية توضح مكانتها لديه إذا ما قارنا هذه المرأة بنسائه الاخريات فيبدو أنه تخيرها من بينهن بلا شك ولا مراء.

لقد كان المعتمد فى حريمه وبين نسائه وجواريه ، كما كان بين شعراءه وخاصته يقربهن ويفرط فى تدليلهن ويعاملهن على قدم المساواة فلا يسترهبهن بجبروته وصولته ، بل يرق لهن ويلين ويحلم ويغضى ويحتمل قسوتهن ، وفى بعض الاحيان حماقاتهن ويستعطفهن بالشعر البليغ والكلم العذب.

(151)الحلة السيراء:ج2،ص63.

لقد اتسع قلب المعتمد لحب الكثير من جواريه وتدله فى حب بعضهن من هؤلاء جاريته "جوهرة" فقد فتن بها المعتمد وتملكه حبها فقال فيها فى إحدى نوبات غضبها عليه وهجرها له(من السريع):

1-سرورنا بعدكم ناقص والعيش لا صاف ولا خالص

2-والسعد إن طالعنا نجمه وغبت فهو الآفل الناكص!

3-سموك بالجوهر ! مظلومة مثلك لا يدركه غائض(152)

وجرى بينهما عتاب ورأى أن تكتب إليها فأجابته برقعة ولم تعنونها باسمها ،فقال (من السريع)

1-لم تصف لى بعد وإلا فلم لم ار فى عنوانها جوهرة؟

2-درت بأنى عاشق لاسمها فلم ترد للغيظ أن تذكره

3-قالت:إذا أبصره ثابتاً قبله !والله لا أبصره(153)

وقال فيها من (مجزوء الرجز)

1-جوهرة عذبنى منك تمادى الغضب

2-فزفرتى فى صعد وعبرتى فى صبب

(152)النفح:ج5،ص233، وخريدة القصر:ج2،ص34.

(153)النفح:ج5،ص232 .

3–يا كوكب الحسن الذى أزارى بزهر الشهب

4–مسكنك القلب فلا ترضى له بالوصب (154)

وكانت جواريه يثقن بحبه لهن ، ويطمعن فى حلمه عليهن وهو يستطيب منهن هذا الدلال وتلك المعابثة فهو يقول فى جاريته "سحر" التى أفرطت فى التجنى عليه حتى يسأل الله الصفح عنها (من الطويل)

1–عفا الله عن سحر على كل حال ولا حوسبت عما بها أنا واجد!

2–أسحر !ظلمت النفس واخترت فرقتى فجمعت أحزانى وهن شوارد

3–وكانت شجونى باقترابك نزحاً فها هن لما إن نأيت شواهد

4–فإن تستلذى برد مائك بعدنا فبعدك ما ندرى متى الماء بارد(155)

ويقول فيها(من الطويل)

1–سأسأل ربى أن يديم بى الشكوى فقد قربت من مضجعى الرشأ الأحوى

2–إذا علة كانت لقربك علة تمنيت أن تبقى بجسمى وأن تقوى

3–شكوت وسحر قد أغبت زيارتى فجاءت بها النعمى التى سميت بلوى!

4–فيها علتى دومى! فأنت حبيبة ويارب سمعاً من ندائى والشكوى! (156)

---

(154)النفح:ج5،ص233، وخريدة القصر:ج3،ص34.

(155) الحلة السيراء:ج2،ص62،الذخيرة(أ):ج2،ص11،(ب)،ص14.

ويقول فى جارية له تسمى وداد وقد سافر عنها الى تفقد بعض البلاد(من الرمل)

1-اشرب الكأس فى وداد ودادك وتأنس بذكرها فى انفرادك

2-قمر غاب عن جفونك مرآه وسكناه فى سواد فؤاك(157)

أما ما تسمى قمر أو شمس ، فقد ظهرتا فى عدة مقطوعات شعرية للمعتمد ، على انهما شخصيتين مختلفتين ، بينما هناك بعض المصادر أشارت على ان (قمر،شمس) شخصية واحدة يقول (فى مجزوء الرجز)

1-يا صفوتى من البشر ! يا كوكبا! بل يا قمر!

2-أيا غصنا إذا مشى يا رشا إذا نظر

3-يا نفس الروضة قد هبت لها ريح سحر

4- ياربه اللحظ الذى شد وثاقا إذ فتره(158)

وجاء فى المعجب وبينا هو فى قبة له يكتب شيئاً أو يطالع وعنده بعض كرمانه وأغلب الظن أنها "قمر" قد حلت عليه الشمس فقال بديها(من البسيط)

1-قامت لتحجب قرص الشمس قامتها عن ناظرى.. حجبب عن ناظر الغير

2-علما لعمرك منها أنها قمر هل تحجب الشمس إلا صفحة القمر؟ (159)

---

(156) خريدة القصر :ج2، ص30- 31.

(157)النفح:ج5،ص233،المطرب:ص18.

(158)خريدة القصر :ج2،ص32.

(159) الحلة السيراء:ج2،ص60، رايات المبرزين: ص6، المعجب:ص161.

وجاء فى المعجب :وبينا جارية من كرامانه قائمة على رأسه تسقيه والكأس فى يدها إذا لمع البرق فارتاعت فقال(من السريع)

1-ريعت من البرق وفى كفها برق من القهوة لماع

2-يا ليت شعرى وهى الشمس الضحى كيف من الانوار ترتاع(160)

ومما جاء فى القلائد: عندما وصل المعتمد الى لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن يسع وقال له : خرجت من إشبيلية وفى النفس غرام طويته بين ضلوعى ، وكفكفت فيه غرب دموعى بفتاة هى الشمس أو كالشمس أخالها لا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت فى يوم وداعها عند تفطر كبدى وانصداعها(من الطويل)

1-ولما التقينا للوداع غدية وقد خفقت فى ساحة القصر رايات

2-وقربت الجرد العتاق وصفقت طبول ولاحت للفراق علامات

3-بكينا دما حتى كأن عيوننا لجرى الدموع الحمر منها جراحات

4-وكنا نرجى الأوب بعد ثلاثة فكيف وقد طالت عليها زيادات(161)

وقال :من (مجزوء الكامل)

1-يا ايتها الشمس التي قلبي لها أحد البروج

2-لولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج(162)

---

(160)النفح:ج5،ص232،المعجب: ص161،المطرب:ص15.

(161) قلائد العقيان:ص10،النفح:ج6،ص15،المطرب:ص18،وجاء في هامش المطرب :وقد وردت الابيات الاربعة بين الشعر المنسوب الى ابن زيدون غيراننا نجد في ديوان ابن زيدون ما يؤكد ذلك :انظر: ديوان ابن زيدون ،تحقيق على عبدالعظيم ،القاهرة، 1957م.

أما جاريته "مها" فقد ورد ذكرها فى قطعة واحدة فى بيتين اثنين يقول(من السريع)

1-الصبح قد مزق ثوب الدجى فمزق الهم بكفى مها!

2-خذ باسمها من ريقها قهوة فى لون خديها تجلى الأسى! (163)

مما سبق ومن الاطلاع على ديوان شعر المعتمد الذى احتوى على ما يقرب من ستين قطعة شعرية فى الغزل نجده ، لم يخص اعتماد إلا فى ثماني قصائد فقط وثلاثة فى جوهرة واثنين فى سحر وواحدة من كل من وداد ومها وثلاثة فيمن عرفت بقمر.

وتبقى نساؤه الاخريات مجهولات الاسم عديمات الذكر ونظراً للظروف التى حفت بالمعتمد الشاعر وأوحت ببعض القطع يجوز الافتراض أنه قالها فى زوجته المحبوبة لديه لا فى غيرها ولو أنه لا يوجد فيها ما يدل على ان هذا الشعر عنى به الشاعر اعتماد دون غيرها.

ونقول إذا كان المعتمد يفضل زوجته اعتماد على بقية نسائه فلا يفيد ذلك بالمرة أنه كان يفردها بحبه باعتبار مقاييسنا الحالية فى الحب والوفاء إذ أنه كان من بين الحريم جوار ،وإماء يشاطرنها حب المعتمد رغم ان اعتماد كانت الزوجة الوحيدة التى ذكرها المؤرخون (164)وتغنى بها المعتمد(165)

---

(162) الذخيرة(أ)،ج2/ص11،(ب):ج2،ص14.

(163) خريدة القصر:ج2،ص32.

(164) ابن بسام:الذخيرة،ج2،ص10،والمطرب:ص7،النفح:ج2،ص342.

(165) ديوان المعتمد:ص26- 31.

وديوان المعتمد يحتولى على العديد من مقطعات الشعر الغنائي عذبة الجرس حلوة النغم أغلب الظن أنها قيلت فى جواريه الكثيرات اللواتي كان ينعم بقربهن فى قصوره ويروقه منهن القرب والصد والاقبال والنفور مثل قوله : (من الرمل)

1–يا بديع الحسن والاحسـ ان !يا بدر الدياجي!

2–يا غزالا صاد منى بالطلى ليث الهياج

3–قد غنينا بسنا وجـ هك عن ضوء السراج(166)

والذى يحسن بنا استنتاجه من هذا كله هو أن المعتمد كان يفضل التغني بزوجه الحلال ،أكثر من غيرها من الجواري والإماء مع إبداله حبه لبعضهن حباً لا يقل عن حبه لاعتماد مكانة وقوة كما يمكن استخلاص العبرة المتمثلة فى قيمة المرأة الاجتماعية فى المجتمع الأندلسي ، وصورتها المثالية لدى المعتمد بن عباد.

ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون المخزومى المعروف بابن زيدون(394هـ/1003م) فى قرطبة–أول رجب 463هـ/5أبريل 1071م)وزير وكاتب وشاعر أندلسى ،عرف بحبه لولادة بنت المستكفى.

قال:_

1–أضحى التنانى بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقينا تحافينا

(166)النفح:ج5،ص233،خريدة القصر : طبعة تونس،ج2،ص35.

2–بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت مافينا

3–يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

4–حالت لغيركم أيامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضاً لياليا

5–إذا جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا

6–وإذا هصرنا غصون الأنس دانية قطوفها فجنينا منه ماشينا

7–ليسق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

8–من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا

9–أن الزمان الذى مازال يضحكنا أنساً بقربكم قد عاد يبكينا

10–ما حقنا أن تقروا عين ذى حسد بنا ولا أن تسروا كاشحا فينا

ى–عصر الدول المتتابعة:

ابـن الفـارض

عمر بن على مرشد بن على الحموى الاصل ،المصرى المولد والدار والوفاة،أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين ابن الفارض أشهر المتصوفين فى شعره فلسفة تتصل بما يسمى(وحدة الوجود) قدم أبوه من حماة (بسورية) الى مصر ،فسكنها وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام ،ثم ولى نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض.

النص:

1-زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

2-وإذا سألتك أن أراك حقيقة فأسمح ولا تجعل جوابى لن ترى؟

3-ياقلب أنت وعدتنى فى حبهم صبراً فحاذر أن تضيق وتفتخرا

4-إن الغرام هو الحياة فمت به صباً،فحقك أن تموت وتعذرا

5-قل للذين تقدموا قبلى ومن بعدى ومن أضحى لا شجانى يرى

6-عنى خذوا وبى اقتدوا ولى اسمعوا وتحدثوا بصبابتى بين الورى

7-ولقد خلوت مع الحبيب وبننا سر أرق من النسيم إذا سرى

8-وأباح طرفى نظرة أملتها فغدوت معروفاً وكنت منكراً

9-فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عنى مخبراً

10-فأدار لحاظك فى محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا

11-لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه كان مهللاً ومكبرا

-العصر الحديث:

الأدب النسوي المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

استطاعت المرأة العربية أن تفرض إبداعها على أنانية الرجل وحكومته مما حدا بالنقاد والمؤرخين القدامى ان يسجلوا قدرا من اسهاماتها الابداعية .فالمرأة الشاعرة مثلا استطاعت ان تطرق كل الاغراض الشعرية التي انشدها الشعراء وفاقتهم حت ان اعظم الشعراء كجرير وابى نواس قد اقتبس كل منهم من اشعار النساء ، إما الالفاظ او المعانى او كليهما.

وقد روى أن ابا نواس تحدث عن مصادر ثقافته فقال(167):

ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى ...

ولو اطلعنا على مصادر ثقافة أبى تمام نجده قد روى لخمس عشرة شاعرة كجزء من مصادر ثقافته ، وما صاحب أيام أبى نواس ، وأبى تمام وما تلاها كان للمرأة في جميع اوجه الحياة والابداع والتحرر أنصبة لا يمكن إغفالها .

وانطلاقا من أهمية الكتابات الادبية والشعرية والنسائية بوصفها المرآة التي تعكس الاحوال الذاتية ، والهموم القومية للمرأة العربية تأتى هذه الدراسة للتعرف على اسهام المرأة العربية في الادب والكشف عما تضمنته هذه الاسهامات في بعض ابداعات المرأة ،وذلك من خلال عرض لنماذج المبدعات العربيات اللاتي تركن أثرهن الواضح في الادب المعاصر .

وقد اقتصر اهتمامي بعرض نماذج من النصوص الخاصة بهن ، والتعليق عليها ونقدها من الناحيتين الشكلية والموضوعية .

(167) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، دار المعارف ،ط الرابعه، ص194 .

اشتملت الدراسة على مقدمة تناولت فيها الحديث عن قضية التاريخ الأدبي للمرأة العربية ، عبر عصور الادب المختلفة بداية من العصر الجاهلي ومرورا بعصر صدر الاسلام ، والأموي، والعباسي مشيرة إلى بعض شاعرات الاندلس .

وذلك للرد على ما قال أن ظهور المرأة العربية في الميدان الأدبي ظاهرة جديدة من ظواهر الادب العربي المعاصر

ولكن مع مزيد من التعمق في دراسة تاريخنا الأدبي ومن الاتصال بماضينا تتبين ان نهضة الادب النسوي ، وإسهام المرأة العربية ، لم تكن جديدة او مفاجئة وإنما هي ككل نهضة قومية او فكرية او ادبية ، ذات جذور راسخة في ماضينا فعن طريق عرض بعض اسهامات المرأة قديما والتي تركت اثرا واضحا في الادب العربى مثل صفية الباهلية ، وميسون ، وعلية بنت المهدى، وولاده بنت المستكفى ، وحفصة بنت الحاج الركونية وغيرهن الكثير عرفنا ان المرأة العربية الشاعرة لم تدع غرضا من اغراض الشعر إلا وانشدت فيه اشعارها وكانت هنالك المعثرة ، منا كانت المقلة .

وقد اختصرت الحديث بعرض النماذج فقط لأوضح المكانة العظيمة التى تبوءها شعر النساء ، وان للمرأة العربية اسهاماتها الابداعية منذ امد بعيد.

ثم انتقلت الى الحديث عن حركة تحرير المرأة العربية التى ظهرت في اخريات القرن التاسع عشر وكيف بدأت الدعوة في البداية وئيدة الخطوات ، اكتفت بطلب تعليم المرأة على لسان "رفاعة الطهطاوى" –والاعتراف بحقوقها–على لسان الامام عبده –ثم يرتفع صوت الدعوة عاليا مع مطلع القرن العشرين على لسان قاسم أمين – وتبلغ الدعوة مداها مع انبلاج فجر الثورة العربية ، حيث خرجت المرأة

على ضوءه تطلب حقها في الوجود الكريم فانطلقت في ميدان الحياة العامة مناضلة ، عاملة واتجهت بكل وعيها وانطلاقا الى المجال الأدبي.

ثم عرجت نحو الحديث عن بوادر الادب النسوي المعاصر ممثلا في عائشة التيمورية "شارت الطليعة" واوردت نماذج من ابداعها والتعليق عليه ونفذه وعرفنا ان شعرها لم ينج من اثر الصنعة والتكلف والزخرف البديعي الذى كان يغلب على أسلوب عصرها.

ثم اعقبتها بحديث عن ادبية عربية رائدة للادب النسوى المعاصر ،وهى "مى زيادة" الاديبة الاولى في العصر الحديث ، التى استطاعت ان تفرض الاديبة العربية على المجتمع الادبى ، وبعد التعرف بها تناولت بعض نماذج من اعمالها ، منها باكورة اعمالها الادبية المتمثلة في مجموعتها الشعرية "أزهير حلم"(168) والتعليق عليها ونقدها ، وقد صدرت هذه المجموعة في القاهرة عام 1911م، وهى في الخامسة والعشرين من عمرها ، وكانت بتوقيع لإيزيس كوبيا وأيزيس آلهة الخصب والامومة عند المصرين القدماء ، وكوبيا كلمة لاتينية تعنى الغزارة والوفرة(169)، ثم تعرضت لبعض كتاباتها النثرية منها مقالاتها التي حملت عنوان "ظلمات وأشعة".

ثم انتقلت بعد ذلك للحديث عن قمة الشعر النسوى المعاصر ، وهى الشاعرة العراقية "نازك الملائكة" وقد أدمت الوقوف حيالها وذلك ان" نازك " هى الشاعرة

(168) مى زيادة: ازاهير حلم ،ترجمة جميل جبر ، بيروت، 1952م,

(169) د.الطاهر احمد مكى ، في الادب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية ، دار المعارف، 1992م ، ص136.

التى استطاعت ان تنزع للأديبة مكانا مرموقا بين اعلام الشعراء وان تفرض على ادبنا الحديث الاعتراف بالأديبة العربية شاعرة من الطراز الاول.

واذا كان الادب العربى يدين "لنازك الملائكة" بما نفت عن حواء العرب من لعنة جمود الحس ، وعقم الوجدان وشلل العاطفة ، وخواء القلب وبما قدمت إليه صورة مفتقدة للأنثى بكل اصالتها ، فإن ليدين لها بما حققت له من تطور حاسم لم تكن امانينا تجرؤ على التطلع اليه بعد ان اثقله ركام من شعر المدائح والمناسبات ، ومن قصائد ترسم ظواهر الاشياء وتنقل صور الجمال وبعد ان كان النقاد ازمانا يقيسون شاعرية الشاعر بقدر ما يطول في قصائده وبما يختار لها من عروض البحور وفخم الاوزان جاءت "نازك الملائكة" فنقلت الشعر العربى من حدود الشكل والصورة الى الصميم والجوهر وجاوزت به ابعاد الطول والعرض الى العمق الموغل في عوالم النفس وآفاق الوجدان على نحو يشهد بافتقار شعرنا على أداء مثل تلك الاسرار المستكنة في طوايا الذات ومسارب النفس والمعاني الرمزية الوجدانية التي تفوق المصطلح المعجمي والدلالة الشائعة.

وقصرت اهتمامى بعرض نماذج من القصائد الخاصة بـ"نازك الملائكة" وقمت بنقدها من الناحيتين الشكلية والموضوعية .

أما عن طريقتى المتبعه في التقييم والنقد فهى تدور حول النظر في القصيدة ذاتها دون النظر الى الشاعرة او فكرتها فالمشكلة ليست في اسلوب التعبير كلاسيكيا او حرا انما المشكلة في قدرة الشاعرة وطاقتها الفنية وموهبتها وايمانها بالحقائق التى يتضمنها شعرها .

وحبا في ازدهار الادب النسوي لم اشأ في اختياري للنماذج الشعرية التي اخذتها ان اقتصر على موضوعات وطنية او نضالية ، وإنما اخترت موضوعات متنوعه وجدانية وتصويرية ونافذة للحياة إيمانا بقول القائلين بترك الازهار تتفتح والمذاهب الفكرية تتصارع ، وايضا خشية تجميد المحتوى الشعرى على موضوعات بعينها.

وتأتى نهاية الدراسة وقد ذيلتها بالحديث عن بعض المبدعات العربيات اللاتى ساهمن بإبداعاتهن في ميدان كتابة القصة بنوعيها القصيرة والرواية مثل "سميرة عزام " و"كوليت سهيل" و"غادة السمان" واخريات عالجن في ابداعاتهن قضايا اجتماعية وقومية مثل "امينة السعيد" ود."بنت الشاطئ" ود. "سهير القلماوى".

وخلصت في النهاية بأهم النتائج التى تمخضت عنها هذه الدراسة وهى:

1-أن قضايا المرأة هى الموضوع المفضل لدى المبدعات العربيات المعاصرات ومثلها القضايا التى استأثرت باهتمامهن ، وعبرن فيها عن الرآى العام للجيل الواعى المستنير من نساء العرب.

2-أن الادب النسوى المعاصر بوجه عام يتميز بسمة خاصة ، وهى عاطفية التناول، فالمألوف عندنا ان اكثر الذين يعالجون القضايا الاجتماعية والقومية او يشتغلون بالمسائل الفكرية ، يؤدونها اداء موضوعيا جافا يقوم على السرد التقريرى والتصوير الآلى لامراض المجتمع على حين لا تستطيع الاديبة العربية مهما يكن الموضوع الذى تعالجه ان تتخلص من عاطفية الانفعال ووجدانية التناول ، وهذا ما يجعل مشاركتها في الادب والمجتمع – ضمانا لتوفير العنصر الوجدانى الذى هو جوهر الادب ومناط تأثيره.

كانت الفكرة السائدة من قبل ، ان ظهور المرأة العربية في الميدان الادبى ظاهرة جديدة ، ولكن من خلال الاتصال بماضينا نتبين ان نهضة الادب النسوى لا يجوز ان تعتبر جديدة مفاجئة ، انما هى ككل نهضة اخرى ، قومية أو فكرية أو أدبية ذات جذور راسخة في اعماق الماضى ، واذا كان التاريخ الواعى لا يمكن ان ينظر في حاضر الامة بالنسبة الى التاريخ الادبى للمرأة العربية ، الذى هو في حساب الواقع والحياة ، خيط من نسيج التاريخ العام.

وعذر الذين تصوروا ان الادب النسوي ظاهرة جديدة في الادب للمرأة العربية طوى وأهمل، منذ عزلت عن الحياة العامة ابتداء من القرن الثاني الهجري أثرا لظروف عامة واوضاع اجتماعية يعرفها المتصلون بتاريخ العرب والاسلام ، فلقد شاءت الظروف أن تبدأ حركة التدوين لهذا التاريخ في اوائل العصر العباسي ، وهو العصر الذى شهد وأد المرأة معنويا ، وعزلها عن الحياة العامة ، فلا عجب أن أغفلها المؤرخون والنقاد ، وأسقطوها من حسابهم، وقد عاشوا في مجتمع أهدر الاعتراف بالمرأة في الحياة العامة.

وهذا يفسر لنا الظاهرة الشاذة في تاريخ الادب العربى ، أعنى اختفاء المرأة منه ووجه شذوذها ، أنها تناقض ما تعرف الطبيعة والحياة ، من أصالة الاستعداد الفنى للمرأة فطرة وطبيعة ومزاجا ، فالوجدانية عنصر جوهرى في الادب لا يكون بغيرها فنا وهى كذلك عنصرا أصيل في فطرة حواء ، لا تكون بغيرها أنثى ومهما يختلف على عقلية المرأة ، فإنى لا اتصور ان تكون أصالة الوجدانية في طبيعتها موضعا لخلاف.

فالمرأة العربية لم تكن مصابة بعقم الوجدان ، وشذوذ الفطرة لتختفى من الميدان الادبى الذى هو ميدانها الاصيل ، وإنما ابتليت بظلم فادح أسقط مكانها في التاريخ الأدبي لأنه دون في عصور نبذت المرأة اجتماعيا ، وحتم على من يريد أن يدرس أدب المرأة العربية ، أن يرجع الى التراث الأدبي للعرب ، كى يجمع ما بعثر منه من آثار أدبية للمرأة ، وينشر المطوي من نشاط فنى لها ، أهدره مؤرخو الادب ونقاده .

ومن خلال البحث بدا لنا أن المرأة العربية لم تكن – كما يتصور الكثيرون – بمعزل عن الحياة الادبية العربية بحيث استطيع ان اقول ان الحياة الادبية للعرب عرفت الادبية العربية منذ زمن بعيد ، وظلت على مساء الزمن ، حتى في احلك عصور نبذها واسترقاقها ، وكان نشاط المرأة الأدبي يكافئ استعدادها الفني الاصيل.

وإذا كانت كتب التاريخ الأدبي لم تحفل بذلك النشاط ، فليس معنى هذا ان الادبية العربية لم تكن هناك ، وإنما معناه بشهادة الحق والواقع أن هؤلاء المؤرخين والنقاد ألقوا بالأديبات العربيات في منطقة الظل ، متأثرين بعقلية عصور لم تعترف للمرأة بمكانتها في الحياة العامة ، وبأوضاع مجتمع وأدها معنويا وفرض عليها الرق الاجتماعي والعاطفي.

التاريخ الأدبي للمرأة العربية:

إن تاريخ العرب يحدثنا عن نساء جاهليات مارسن الكهانة أو العرافة التى مارستها أيضا المرأة اليهودية والمرأة اليونانية في العصور القديمة ، حين كانت تتنبأ أو تقرأ

الغيب بكلام شعرى شديد الوقع وتستثار في شؤون الحرب والاحداث الخطيرة ، تنذر قومها وتخاطبهم بعبارة مشجعه شبيهة بالشعر في إيقاعها وعلو معانيها، منهن "زرقاء اليمامة" التى كانت شاعرة وعرافة أنذرت قومها من أعداء أبصرتهم ، على مسيرة ثلاثة أيام ، يتقدمون حاملين الاشجار ليستتروا بها كما يفعل جنود اليوم حين يلبسون ملابس مموهة تخفى هويتهم عن بعد ومن شعرها في ذلك.

1-إنى أرى شجر من خلفها بشر وكيف يجتمع الاشجار والبشر؟

2-خذوا حذركم ياقوم ينفعكم فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر(170)

وتحتفظ لنا كتب تاريخ الادب أسماء عدد كبير من شاعرات الجاهلية ، لكنها لا تحفظ لنا من شعرهن إلا القليل ، كما أن أسماء كثيرة ضاعت لتقادم العهد وانعدام التدوين في العصر الجاهلى هذا القليل الذى لدينا من شعر النساء يتضمن أراجيز لنساء رافقن الرجال في الحروب وأنشدنها للتحريض والتحميس منها هذه الارجوزة لهند بنت عتبه:

1-نحن بنات طارق نمشى على النمارق

2-مشى القطى البارق المسك في المفارق

3-والدر في المخافق إن تقبلوا نعانق

4- أو تدبروا نفارق فراق غير وامق(171)

(170)روز غريب:نسمات وأعاصير في الشعر العربى المعاصر،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الاولى، 1980م،ص12

كما أشتمل هذا الشعر على مراثى قصيرة أو طويلة لأقارب الشاعرات وقد يكون الرثاء أهم الاغراض التى عالجتها المرأة في شعرها لأن ندب الميت والتفجع عليه كان من مهماتها لذلك كانت الخنساء أشهر شاعرات العرب على الاطلاق وأغزرهن شعرا شاعرة رثاء ويكاد ديوانها يقتصر على هذا الباب ، وكثيرا من مراثيها تتناقله كتب الادب لكنى أود الاشارة الى ابيات رثاء جيدة "لصفية الباهلية" التى لم تصب من الشهرة ما أصابته الخنساء لأنها أقل شعرا ، قالت ترثى أخاها الوحيد الذى مات شاباً:

1-أخنى على واحدى ريب الزمان وما يبقى الزمان على شئ ولا يذر

2-فاذهب حميدا على ما كان من أثر فقد ذهبت وأنت السمع والبصر

3-كنا كأنجم ليل بيننا قمر يجلو الدجى فهوى من بيننا قمرا(172)

أما في صدر الاسلام والعصر الاموى فقد حفظت الكتب أسماء لشاعرات من قريش ومن بيت النبوة ، مثل : عائشة بنت ابى بكر ، وعقيلى بنت عقيل بن ابى طالب ، سكينة بنت الحسين ، والرباب زوجة الحسين ، لكن لم تدون لهن إلا أشعار قليلة كما لمعت في هذا العصر "ليلى الاخليلية" صاحبة توبة وحفظ لها شعر كثير في الحب والشكوى وشعرها يؤلف ديوانا(173)، ومن شاعرات العصر

---

(171) د.ليلى محمد ناظم الحيالى:معجم ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام، مكتبة لبنان،ط الاولى، 1999م، ص13.

(172) روز غريب: نسمات وأعاصير ، ص13.

(173) جميع ديوان ليلى الاخيلية في 46 صفحة ، قام بجمعه وتحقيقه خليل ابراهيم العطية ، بغداد، 1967م،

الاموى "ميسون بنت بحدل" التى خلدتها أبيات قالتها في تفضيل خيمتها البدوية على القصر الذى أسكنها فيه زوجها الخليفة معاوية ومنها:

1-لبيت تخفق الارواح فيه أحب إلى من قصر منيف

2-ولبس عباءة وتقر عينى أحب إلى من لبس الشفوف

3-وأكل كسيرة في ظل بيتي أحب إلى من أكل الرغيف(174)

وفى العصر العباسي ، نجد الشعر النسائي يكاد ينحصر في الغزل وأكثره مما صنعته الجواري للغناء ، نستثنى شعرا صوفيا لرابعة العدوية التي عاشت في القرن الثاني الهجري ، "وعليه بنت المهدى العباسي " التي اجادت الغناء ونظم الشعر.

ومن شعرها:

1-أما والله لو جوزيت بالإحسان إحسانا

2-لما صد الذى أهوى ولا مل ولا خانا

3-رأيت الناس من ألقى عليهم نفسه هانا

4-فرز غبا تزد حباً وإن جرعت أحزاناً(175)

(174) د.ليلى محمد ناظم: معجم ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام ، ص40.

(175) أبو بكر محمد بن يحى الصولى:أشعار أولاد الخلفاء ، دار الميسرة بيروت، 1982م،ص79.

وعلى الرغم من تضاؤل عدد الشاعرات في العصر العباسي إلا أنه يلفت الانظار تكاثرهن في الاندلس ، حيث أزدهر الغناء والطرب بازدهار الموشحات ومن شاعرات الاندلس ، كانت "ولاده بنت المستكفي" (176)

الاميرة المتحررة (177)، التي أنشأت أول ندوة للمساجلة الشعرية ، وهى بذلك

سبقت الاوربيات في العصور الوسطى بذلك الصالون الأدبي الاول في العالم . والتي تيمت بحبها الشاعر الوزير "ابن زيدون" صاحب الغزلية النونية التي مطلعها:

1-أضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

نظمت ولادة شعرا كثيرا في الغزل وفى معظم الاغراض الشعرية المعروفة ،تقول:

1-إنى وإن نظر الانام لبهجتي كظباء مكة صيدهن حرام

2-يسحبن من لين الكلام فواحشا ويصدهن عن الخنا الاسلام(178)

ومن شاعرات الاندلس اللائي برعن في نظم الشعر " حفصة بنت الحاج الركونية "(179)التى حظيت بعناية خاصة في تعليمها ، ذلك لأن كل من ترجموا لها كانوا

(176)المقرى : نفح الطيب: تحقيق احسان عباس ، دار صادر،بيروت ،1968م، ج4،ص171.

(177) د.تريزا جارولو: شاعرات الاندلس ، ترجمة د.أشرف على دعدور ، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة ،1996م،ص125 -130.

(178) المقرى: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق القاهرة، 1949م،ج5، ص227.

(179) المقرى:النفح : ج4، ص176.

يمتدحون تعليمها ، بل ويلقبونها بأستاذة عصرها(180)ومن شعرها في ابى جعفر بن سعيد تقول:

1-سلام بفتح في زهر الـ كمام وينطق ورق الغصون

2-على نازح قد ثوى في الحشا وإن كان تحرم منه الجفون

3-فلا تحسبوا البعد ينسيكم فذلك والله ما لا يكون(181)

ومن شاعرات الاندلس من تفوقن في الاجازة أى في نظم شطر أو نصف بيت يكمل شطراً نظمه شاعر آخر ،"اعتماد الرميكية"(182)التى يحكى عنها انها أجازت لسيدها الملك "المعتمد بن عباد" هذا الشطر :

نشر الريح على الماء زرد

بشطر نظمته وهو:

<< -أى درع للقتال لو جمد ->>

فتزوجها المعتمد لإعجابه ببداهتها ، كما اشتهرت "عنان" (183)جارية الناطفى البغدادي ببراعتها فى الاجازة ، كما عرفت بالغناء ونظم الشعر.

(180)د.تريزا جارولو: شاعرات الاندلس ، ترجمة د.أشرف على دعدور ، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة ،1996م،ص 70-81.

(181)المقرى:النفح : ج4، ص176.

(182)المقرى: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، القاهرة، 1949م،ج7، ص245،حول المعتمد بن عباد وأسرته يوجد العديد من الترجمات :آخرها مقدمة من ماريا خسيوس روبيرا :المعتمد بن عباد ،مجموعة شعرية مزدوجة اللغة، مدريد 1982م ،وهى تتناول بشكل خاص اعتماد الرميكية في الصفحات 39-47.

هذه لمحة سريعة عن قضية التاريخ الأدبي للمرأة العربية ، ونعرج نحو الادب النسوي المعاصر واسهام المرأة العربية فيه ، فأقول أن هذا الادب ، قد ساير حركة تحرير المرأة العربية من اغلال الحجاب الذى القى بها لمدى عصور ، وراء أسوار الجهل والنبذ والتعطل .

حركة تحرير المرأة :

بدأت العوة لتحرير المرأة مع دعاء الفجر الجديد للحركة القومية ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، وسارت أول الامر وئيدة الخطوات خافتة الصوت ،تكتفى بطلب تعليم المرأة على لسان –رفاعة الطهطاوي – والاعتراف بحقوقها الانسانية على لسان– الامام محمد عبده – ثم ارتفع صوتها مع مطلع القرن العشرين على لسان –قاسم أمين– تطالب بتمزيق الحجاب التركي وإطلاق المرأة من أسوار الحريم ثم ثورات الدعوة أعواما مستكنه في الافئدة والضمائر والعقول ، بعد وطأة الاحتلال الأجنبي الذى جثم على الشرق العربي يكتم أنفاسه.

فلما بدأ وميض الثورة العربية يتلمع فى الافق ، خرجت المرأة على ضوئه تطالب حقها فى الوجود الكريم . وحيثما تم لبلد عربي أن يحقق وجوده ، تحررت أنثاه من أغلالها وانطلقت فى ميدان الحياة العامة ، واعية ، عاقلة مناضلة واتجهت بكل وعيها وانطلاقها الى المجال الأدبي ، مستجيبة لما فى فطرتها ومزاجها من استعداد له أصيل ، ومنفسه عن كبت عاطفي أرهقها قرونا ذات عدد.

وإذا كان الادب النسوي المعاصر ، قد ساير حركة تحرير المرأة العربية التى لم تكن فى الواقع إلا صدى للبعث القومي ، وجزءاً من برنامج قادته ورواده ، فإن

---

(183) د.قرشى عباس دندراوى: عنان الناطفى، دار المعارف، 1995،ص28.

هذا الادب قد ساير فى الوقت نفسه خطوات النهضة الادبية العامة ، وقد كانت كذلك مظهرا للنهضة القومية وتعبيراً عنها، ورائدة لها ، وأثراً من أثارها.

ومؤرخو الادب قد رصدوا بوادر نهضته فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهى الفترة التي شهدت بوادر الادب النسوي المعاصر ، فى "عائشة التيمورية" (184)(1840–1902م) شارة الطليعة التي نظمت الشعر بلغات ثلاث (العربية والتركية والفارسية) والتي يتقاسم أصلها عناصر ثلاث: (كردى وتركى وجركسى)، حاولت والدتها الجركسية الاصل صرفها الى تعليم الخياطة والتطريز ونحو ذلك من فنون منزلية تختص بها النساء ، لكنها مالت الى مطالعة الشعر والادب ، ولقيت تشجيعا من والدها الذى استقدم لها أستاذين أحدهما يعلمها الفارسية ، واللغة التي راجت في مصر حينذاك ، والآخر يعلمها العربية بما في ذلك القرآن الكريم ، والخط والنحو والصرف.

واستطاعت أن تمارس نظم الشعر لكنها اضطرت الى اهمال اهتماماتها الثقافية بعد زواجها وانشغالها بشئون البيت ، ثم عادت إليها حين كبرت ابنتها البكر "توحيده" التى كانت تعاملها كصديقة حميمة ، فألقت إليها بمقاليد الاعمال المنزلية ، ووافق ذلك وفاة والدها وزوجها فاجتمع لديها من اوقات الفراغ ما أمكنها من الانكباب على نظم الشعر ، حتى استوى لها ثلاثة دواوين في اللغات الثلاثة التى حذقتها وفيما هى تهم بنشرها فجعت بوفاة "توحيدة" في الثالثة عشر من العمر فناحت عليها سبع سنوات وزهدت في الشعر والادب ، وأشتهر رثاؤها لابنتها

(184) روز غريب : نسمات وأعاصير ،ص21؛ د. الطاهر احمد مكى: الادب المقارن دراسة نظرية وتطبيقية ،ص142.

"توحيدة" التى ماتت صبية ، ولما فيه من صدق وطبيعية وحوار جعلته على لسان البنت وأمها :

1–أماه قد عز اللقاء وفى غد سترين نعشى كالعروسة يسير

2–وسينتهى المسعى إلى اللحد الذى هو منزلي وله الجموع تصير

3–قولى لرب اللحد : رفقاً بابنتى جاءت عروساً ساقها التقدير

4–صونى جهاز العروس تذكاراً فلى قد كان منه إلى الزفاف سرور

5–جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا لبست السواد ، ونفذ المقدور

6–والقبر صار لغصن قدرى روضة ريحانها عند المزار زهور(185)

إلا أن ابنها "محمود توفيق زاده" الذى كان معجباً بمواهبها ، استطاع اقناعها بالعودة إلى مشاغلها الثقافية ، واهتم بنشر مؤلفاتها : الديوان العربي، "حلية الطراز" والديوان الفارسي "اشكوفه" ورسالة ذات موضوع اجتماعي عنوانها : مرآة التأمل في الامور ، وقصة أخلاقية عنوانها : "نتائج الاحوال".

وإذا راجعنا ديوانها "حلية الطراز" ومع أنه يسير في الدروب القديمة ، إلا أنه لا يخفى إحساس المرأة بقضية الحب في مجتمع ضاغط فالديوان لا يشذ عن أساليب العصر ، ولا يخالف شعر عصور الانحطاط في أغراضه وموضوعاته ، هناك

(185) روز غريب: نسمات وأعاصير،ص 23؛ د.الطاهر احمد مكى: الادب المقارن ، ص149.

الغزل الذى كانت الشاعرة تنتحل فيه موقف العاشق المتغزل بحبيبته خيالية ، أو العاشقة المتغزلة وهى ، تردد معانى تقليدية في الشكوى والعتاب والالم والعذاب ، قصائد قالتها متغزلة في غير إنسان والقصد تمرين اللسان (186)كما جاء في المقدمة.

ولها أشعار فى المديح والمجاملة ، وأشعار عائلية قالتها فى مناسبات الزفاف والختان ، والاهداء والدعوات والوفاة ، وقصائد فى الاخلاق والدين وتوشيحات وأشعار من صنف الموال الغزلى الذى يستعمل فى أغانى الافراح وقد انتشرت وتغنى بها المغنون فى الاقطار العربية ، منها هذا الموال الذى سمعته "مى زياده" يغنى فى احد الاعراس الفخمة فى فلسطين يوم كانت صبية مراهقة ، فرسخت كلماته فى ذهنها وكان أحد العوامل التى حببت إليها نقد صاحبته ، وهو:

كحـل بعينيك أم صبغ مـن الرحمان

جفن من السحر أم سحر من الاجفان

خـــال بخـديك أم صنع من الريان

تـوهت فكـر الانــام بالجفن والخالات

تـبارك الله مـا أحـــلاك مـن إنـسان(187)

(186) مقدمات ودراسات منشورة في ديوانها "حلية الطراز" ، القاهرة، دار الكتاب العربى ، 1952م.

(187) ديوان حلية الطراز: ص153 -187.

وإذا دققنا النظر فى قصائدها ، نراها تسير على نهج القدماء ومعانيهم الشائعة وتلجأ إلى تضحية المعنى فى سبيل القافية والوزن أو تسيغ الحشو لهذا الغرض ومع هذا تبدو شخصيتها بوضوح فى نبذها للإستهلالات التقليدية ودخولها بشكل مباشر فى الموضوع وعدم التزام التصريح فى بعض القصائد .

ولعل هبوط شعر "عائشة التيمورية " العباسي في الميزان الفني النقدي ، إنما يرجع الى خروجها عن المألوف من طبيعة المرأة فقلما عرفناها ، فى التراث الأدبي للعرب شاعرة ملك ، وقلما شهدها ماضينا واقفة بباب البلاط ، تمدح السلطان ، وهذا يبدو بوضوح فى القصائد التى نظمتها لتهنئة الخديوي "توفيق" (188)

وعزر عائشة أنها نشأت فى بيت اتصلت أسبابه بالقصر ، على أنها في شعرها العاطفي والعائلي ، تعبر عن حاسة مرهفة ونفس رقيقة عذبه ، وأسلوبها فيه يشهد بشاعرية مواتية ، ويبشر ببوادر النهضة الادبية الحديثة ويدخل فى حساب المؤرخ الأدبي ، بارقة واعدة بعصر أدبى .

أما من حيث الوضع الاجتماعي للمرأة فقد اكتفت شاعرة الطليعة بالتمرد على الجهل ، وعلى العزلة الادبية وجازفت– وهى من طبقة ارستقراطية – بأن تمارس هواية الادب شعرا ونثرا وقد كانت بيئتها لا ترى لمثلها إلا أن تمارس هواية إمتاع الرجل ومؤانسته والاشراف على ادارة البيت ، فلعائشة التيمورية رسائل وقصص ذات صبغة اجتماعية ، منها مقالة تطلب فيها إشراك المرأة فى أعمال الرجل حين

(188) انظر قصيدتها في هذه المناسبة ، حلية الطراز ،ص155.

تقول : فيا رجال اوطاننا لم تركتموهن سدى ، وهن بين ايديكم أطوع من قلم ، فعلام ترفعون اكف الحيرة عند الحاجة كالضال المعنى ، وقد سخرتم بأمرهن ، ازدريتم باشتراكهن معكم فى الاعمال واستحسنتم انفرادكم فى كل معنى فانظروا عائدا اللوم على من يعود(189)

أما الحجاب ، فلم تتمرد "عائشة" عليه لأن عصرها لم يسعفها على هذا التمرد ،ولأن رواد تحرير المرأة العربية فى جيلها ، لم يطالبوا بأكثر من تعليمها والاعتراف بإنسانيتها ، اما الحجاب فكان فى رأيهم مظهر تصون وسمة للحرائر وكذلك رأته عائشة ، فتقول فى قصيدتها البائية:

1-بيد العفاف أصون عز حجابى وبعصمتى أسمو على أترابي

2-وبفكـرة وقـــادة وقريحـــة نقادة قـد كملـت آدابـى

3-ولقد نظمت الشعر شيمة معشر قبلى ذوات الخدر والاحساب

4-ما قلته إلا فكاهـــة نـــاطق يهوى بلاغة منطق وكتاب

5-ماضرنى أدبى وحسن تعليمي إلا بكونـــي زهـــرة الالـباب

6-ما ساءنى خدرى وعقد عصابتى وطراز ثوبي واعتزاز رحـــابى

7-ما عاقنى حجلى على العليا ولا سدل الخمار بلمتى ونقابى(190)

(189) انظر ديوان حلية الطراز ،ص146.

(190) الديوان ،ص161.

وبرغم اعتزاز عائشة التيمورية بالحجاب فى شعرها ، نراها تضيق به فى نثرها لأنه حرمها دخول محافل العلماء المتفقهين ، تقول:

"فكم التهب صدري بنار شوق إلى محافلهم اليوانع .... وقد عاقنى عن الفوز بهذا الأمل حجاب خيمة الأزار ، وحجبنى قفل خدر التأنيث عن سناء تلك الاقمار (191)"

وقصيدة عائشة فى الحجاب تعد وثيقة أدبية تاريخية بما تسجل من وضع اجتماعي للمرأة العربية فى ذلك الوقت ، وموقف شاعرة الطليعة من هذا الوضع فهى لا تضيق كما رأينا بالحجاب ، إنما حسبها ألا يعوقها الحجل –أى القيد– وسدل الخمار عن العلياء وألا يضيرها أدبها وحسن تعلمها إلا بكونها زهرة الالباب !

وفى القصيدة ما يشهد بأن شاعرة الطليعة كانت تعر من الماضي الأدبي للمرأة العربية وتعرف من الادبيات السابقة ، ما يشجعها على اقتحام الميدان الأدبى ويغذى طموحها فيه، ولها فى النثر محاولة قصصية بعنوان "نتائج الاحوال" ولها أيضاً كتاب بعنوان "مرآة التأمل فى الدهور" وقد غلب عليه أسلوب العصر بما يثقله من حشو وتطويل ، ومن زخرفة وصنعة بديعية (192) لكنه على أى حال لم يهبط عن أسلوب أعلام المتأدبين من جيلها ، وكان جديداً من "عائشة" أن تحاول

(191) مقدمات ودراسات منشورة في ديوانها "حلية الطراز" القاهرة، دار الكتاب العربى، 1952م.

(192) مى: عائشة تيمور، ط الهلال، الفصل السابع

كتابة القصة، ومبلغ علمنا أن التاريخ الأدبي للعرب ، لم يع قصة كتبتها أديبة عربية قبلها ، على ما نعرف من استعداد حواء للفن القصصي(193).

وكانت عائشة قد عالجت نظم الشعر "فكاهة ناطق" ، وزينة مخدرة، كما صرحت هي بذلك في قصيدتها البائية ، وإذا كانت عالجت النثر لملء ساعات الفراغ الطويلة التي لم تكن تستنفذها واجبات المنزل ، ولياقات المجتمع ، ونظم الشعر، وفروض العبادة ، فحسب هذه الشاعرة أنها كانت بادرت بعث أو "البارق فى الظلام" كما تقول عنها الاديبة الرائدة فى الادب المعاصر "مى زياده".

بهذه المميزات التى حاولت بسطها تبدو لنا عائشة التيمورية أبرز شاعرات القرن التاسع عشر ، أسبق اللواتي مهدن السبيل لشاعرات القرن العشرين ، ولعل إتقانها لثلاث لغات وسع أفق تفكيرها ، ومثله احتكاكها ببيئة مثقفة هيأت لها وسائل التثقيف الشخصي بإدمان المطالعة والتفرغ للكتابة .

وقد عاصرت التيمورية شاعرة أخرى لمعت فى لبنان ، وهى "وردة اليازجى" المولودة فى كفر شيما بلبنان ، المتوفاة سنة 1924م ، بنت اليازجى الكبير ناصيف ، الذى لقنها علوم اللغة العربية وأسرار النظم ، فشبت شاعرة تعالج فنون المدح والرثاء ، والتهنئة ، ونحو ذلك من شعر المناسبات ، فاجتمع لها ديوان أسمته "حديقة الورد" نشرته سنة 1967م ، وافتتحته بقصيدة تجيب فيها عن ابيات ارسلتها إليها سميتها الشاعرة "وردة" الترك منها هذان البيتان:

1–يا وردة الترك إنى وردة العرب فبيننا قد وجدنا أقرب النسب

(193) المصدر السابق: الفصل السابع

2–أعطاكِ والدك الفن الذى اشتهرت ألطافه بين أهل العلم والأدب

وهذه أبيات لها فى رثاء أخيها خليل، ترينا نموذجاً آخر من شعرها:

1–ألا أيها القلب الحزين إلى متى تقاسى خطوب الدهر منقضة تترى

2–تراكمت الأرزاء من كل جانب عليك فى يوم يمر بلا ذكرى(194)

ومع بوادر البعث ، ظهرت "زينب فواز"(195) ، كاتبة من طراز آخر ، لم تكن الكتابة عندها فكاهة ناطق ومشغلة فراغ، وإنما اتجهت الى ميدان الكتابة ، وهى تدرك أنها تؤدى رسالة كبرى . ولدت "زينب" سنة 1860م فى صيدا بلبنان ، وانتقلت الى مصر ونشأت فى بيت عربي صريح وهى من اسرة عربية صميمة ، قرأت تاريخ الشرق والغرب ، فراعها أن مئات من بنات حواء قد شاركن فى صنعه وتوجيهه وهالها فى الوقت نفسه، أن ترى المرأة فى جيلها مخدرة لا تعي ذاتها ولا تدرك حقيقتها ، هنا شعرت زينب ان عليها واجباً لا يجب التخلى عنه ، فحملت أمانة القلم وادت ضريبة الوعى والمعرفة ، فجمعت فى كتابها الضخم" الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور" (196) ،تراجم موجزة لمن عرفت من نساء الشرق والغرب ، المشهورات منهن والمغمورات في مختلف العصور ، وأودعت هذا الكتاب فى المكتبة العربية تراثاً، يهيب بالواعيات أن يحملن الأمانة التي حملتها "زينب فواز " فى عصر الحريم وأن يكملن ما بدأت من نشر المطوى من تاريخ

(194) شعبان بهيج: مجلة المحكمة ، السنه 12، ت1، 1964م.

(195) انظر:عن زينب فواز: مجلةة المشرق ، مجلد 19، 1921م،ص555.

(196) زينب فواز: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مكتبة ابن قتيبة ، الكويت.

المرأة ، ألفته عصور استبعادها فى منطقة الظل . وما يهمنا هو التحدث عنها ككاتبة أو روائية فى العالم العربى ، سبقت الرجال وتعتبر رواي(حسن العواقب) – أو غادة الزهراء– أول رواية تاريخية تظهر فيها معظم عناصر الرواية الحديثة من شخصيات وموضوع وجو روائى وقد عبرت فى مقدمة روايتها عن فهم عميق لعناصر الرواية ومهمتها فتقول: بما أن الروايات الادبية هي أهم نوع من الكتابة تعكس فكر المرء وتفيد وتمتع وتعيد إنتاج صورة الواقع وليس الواقع بحالته الفجة فقد قررت أن أكتب هذه الرواية آمله أن تفيد وتمتع؟ ويتضح أن زينب فواز كانت كاتبة مهمة جداً فى عصرها وقد وصفت بأنها موهبة أدبية نادرة وأنها درة زمانها وقد اكتسبت أعمالها شهرة واسعة فى مختلف أنحاء العالم العربي وتعتبر هذه الرواية الأولى فى عالمنا العربي رواية أخلاقية لتثقيف الأجيال الشابة وتنويرها.

أما عن الانتاج الأدبي لهذه الرائدة فهو:

1–رواية (حسن العواقب)

2–الدر المنثور فى طبقات الخدور، وهو عبارة عن موسوعة ضخمة تضم معلومات عن 445 شخصية من النساء الشهيرات والبارزات فى التاريخ من زعيمات ومناضلات وكاتبات وثائرات ويعتبر علامة فى تاريخ الادب النسائي العربي وقالت عنه: "لقد قمت بكتابة تاريخ النساء وتنظيم سجلات لمساهماتهن

فى مختلف المجالات خدمة لبنات جنسي وأعتقد أن هذه هى أفضل هدية للسيدات الفاضلات" (197).

3-(الهوى والوفا)مسرحية استهدفت جمهوراً نسائياً

4-(الملك قورش)رواية عن ملك الفرس

5-مدارك الكمال عن تراجم الرجال

6-الجوهر البضيض في مآثر الملك الحميد ،رواية عن السلطان عبدالحميد

7-الرسائل الزينبية

8-ديوان شعر لم يطبع.

ومع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، تظهر أديبة عربية رائدة للأدب النسوي المعاصر، معلنة عن مشرق فجره الجديد الصادق ، مؤكدة أن الادب النسوى لم يختلف عن الادب العام.

تلك هى"مى زياده"(198)(ت 1941م) الاديبة الاولى فى الادب النسوى المعاصر ، والتى استطاعت أن تفرض الاديبة العربية على المجتمع الأدبي.

ولدت "مى" فى مدينة الناصرة بفلسطين 1886م(199) ، من أب لبنانى ، وأم فلسطينية من الناصرة ، تلقت تعليمها الأول فى الناصرة حتى 1900م ، ثم

(197) مقدمة كتاب الدر المنثور في طبقات ارباب الخدور ، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، ص6.

(198) شرارة عبداللطيف: (مى زياده) ،ط بيروت ، 1965م، ص8.

(199) عبد الامير الأعسم: سيكولوجية العلاقة بين مى زياده والرجال ، مجلة الأقلام ،1966م، ص95.

أرسلها والدها إلى معهد راهبات عينطورة بلبنان لإكمال دراستها ، ثم عادت وقضت أربع سنوات في المطالعة الحرة الغزيرة .

بعدها ارتحلت مع والدها إلى مصر حيث بدأت رحلة الكتابة ، وكانت أول أعمالها الكتابية "يوميات عائدة" تمثل فيها أحلام الطفولة ، وسن المراهقة ، تلمح في هذه المقالات موهبة ناشئة ونفساً شعرياً في الاسلوب ، ثم أكتب بعد ذلك على نظم القصائد باللغة الفرنسية ونشرت منها مجموعة تحت عنوان "أزاهير حلم" ترجمت إلى العربية في قالب نثرى شعرى .

لم تعالج "مى " نظم الشعر في العربية ، لكن لها مقالات من صنف النثر الشعرى لا تقل شاعرية عن "أزاهير حلم" وبذلك يحق لنا أن نعتبرها شاعرة باللغتين.

كانت "مى" تجيد ست لغات على الأقل (200)، دأبت على التحصيل ، ودرست تاريخ الفلسفه والعلوم وآداب اللغة العربية في الجامعة المصرية ، وأنشأت ندوة أدبية لقيت نجاحاً كبيراً قصدها ألمع أدباء مصر (201)،والادباء المقيمين في مصر، اشتهرت بالخطابة وأنتجت عدداً من الكتب المترجمة والموضوعة تبلغ ثلاثة عشر منها مجموعة خطب، ومجموعة مقالات ،وأبحاث اجتماعية ونقدية ، وخواطر وذكريات ، ومحاولات مسرحية وقصصية.

(200) العربية ،الفرنسية، اللاتينية، الانجليزية، الالمانية، الايطالية ، مع الالمام بالإسبانية.

(201) وداد سكاكينى :ندوة مى، مجلة المعرفة، العدد(36)، 1965م، ص17.

وسوف أركز هنا على أشعار "مى" التى كتبتها بالفرنسية ثم ترجمت الى العربية والتى تحمل عنوان "أزاهير حلم"(202)وبعض قصائدها النثرية الشعرية

فـ "أزاهير حلم "هى باكورة انتاجها ، وفيها تلمح عفوية الروح المتفتحة على الوجود ، وأبرز ما فيها الصدق والواقعية ، حيث تتجاوب نفسها مع الطبيعة فترى فيها انعكاسات مشاعرها فتبدو لها الجبال خاملة مثلها : تحلم بالرقة البعيدة وبأعماق الأنوار الغامضة وبخفايا القبور المبهمة (203)

تتألف هذه المجموعة من قسمين : في القسم الاول قصائد منظومة استوحت الشاعرة معظمها من مشاهدة الطبيعة ، ولا سيما طبيعة جبال لبنان والغابات والاجواء اللبنانية.

أما القسم الثانى: فهى تقدمه لصديقة لها تحت شعار "الصداقة تزرع الحياة أزهاراً" وفيه قطع نثر شعرى ، تتحدث عن ذكريات تنقلاتها في قرى لبنان ونتفا من أحلامها وتأملاتها ومناجاتها العذبة. فهنا حلم يثيره في نفسها منظر المطر :

"قد تكون الامطار مجموعة عبرات يسكبها سكان الكواكب المتلآلئة في الرقيع ، تشع أنوارها العذبة في لياليناا...."

"ومن يدرى ؟ لعل الدموع السخينة التي تذرفها على أرضنا هذه تمطر على كوكب آخر.

(202)مى زياده: أزاهير حلم، ترجمة جميل جبر ، دار بيروت، 1952م.

(203)مى زياده: أزاهير حلم، ترجمة جميل جبر ، دار بيروت، 1952م.

ومن خواطرها في موضوع الوحدة :"إني أهوى الوحدة وأهيم بها ، إنها تضعنا وجهاً لوجه أمام أنفسنا وتسمح لنا أن نراقب ونتأمل ، تحمل إلينا ذكريات الماضي وتعدنا لرؤية الآمال المستقبلية .... (204)

بالنظر إلى هذه المجموعة نجد أن تأثير الرومانسية شديد الوضوح في كل الموضوعات التي تناولتها "مى" ويبدو هذ التأثير في المعاني والاسلوب أيضاً فهى دائما تستوحى أكثر موضوعاتها من الطبيعة والذكريات ، تعالج حيناً الشعر المنظوم وتحاول الافتنان في الاسلوب على طريقة الرومانسيين ، أو تتحرر من الوزن والقافية فتأتى بالنثر الشعرى الذى يجارى الشعر في عبارته وصوره وموسيقيته ، ولكنه لا يتقيد بوزن أو قافية بل ينقسم الى فقرات تقصر حيناً وتطول حيناً آخر كما في مقالات جبران لنقرأ لها جزءاً من هذه المقالة التى عنوانها "كآبة" :

"حزينة اليوم روحى وحزنها القائم مؤلمى"

فعلام الاكتئاب؟

أترى الاراق المتناثرة عن غصونها تدرى لأى غرض تقلبها الريح وتتلاعب بها في تطايرها؟

وأنا حزينة إذ أراك تتناثرين وترفرفين وتتهافتين نحو مثواك القاسي ، وحزني هذا جد مؤلمى..... (205).

(204)أزاهير حلم، ترجمة جميل جبر ، دار بيروت، 1952م.

(205)أزاهير حلم، ترجمة جميل جبر ، دار بيروت، 1952م.

فنجد في هذه المقالة دفقة عاطفية ومناجاة وتأملات وجدانية تعطيها صفة الشعر الغنائى ، لكنها عبارات حرة لا ترتبط بوزن أو قافية ، بل تنقسم إلى فقرات قصيرة متقطعة ، تقوم مقام أبيات الشعر.

وحين ننظر إلى الازاهير من ناحية الاسلوب فنجدها تمتاز برشاقة العبارة وموسيقيتها وأناقة الالفاظ اى بتلك الصفات التى تميز جميع كتابات "مى" نثرية أو شعرية ، نراها قصيرة النفس محدودة الخيال، إلا أنها أحياناً تسترسل في الوصف وتجيد التصوير فتقول واصفة الخريف في قصيدة منظومة ترجمت نثراً:

لقد ضرج الخريف أوراق الشجر
بقبلته الحارة المريضة
ونسيمه الرخو يردد أنغامه
محاولا تخفيف الكآبة
السماء تبكى على الغاب
والعصفور يحن إلى الشاطئ
والعشب يرتعش فوق الجبل
وكأنه ارتعاش الجدول في كل حين

ففى هذه القصيدة تتكاثر وتتنوع صور الخريف فاحمرار الاوراق ،القبل الحارة المريضة، أنغام النسيم الفاتر، بكاء السماء، ارتعاش العشب والجداول ، جميعها صور كنيبة تتوالى وتتكرر ، لكنها تعبر عن واقع الطبيعة في فصل الخريف ومن جهة ثانية، تعبر عن ايمان "مى" بجمال الحزن وروعة الكآبة.

أما عن اسلوب النثر الشعرى الذى عالجته "مى" فهو يسيطر على كتابها المترجم عن الالمانية "ابتسامات ودموع" حيث يفرضه الاصل الموضوع في قالب الشعر المنثور وكان يحمل عنوان" الحب الألماني" (206).

وتنتهج هذا الاسلوب ايضا في مجموعة مقالاتها الوجدانية التأملية التي تجمل عنوان "ظلمات وأشعة" أما في باقى كتبها ، فيتراجع أمام الاسلوب البحثي الذى يسود فيه التفكير الرصين ويضيق مجال العاطفة والخيال ، لكنه يبرز أحياناً في الرسائل والخطب ، في الفقرات الوصفية والقصصية ، في عبارات الهتاف والمناجاة التي تتخلل مقالاتها البحثية ، لأن طبيعة "مى" الفنية تلح عليها وتأبى إلا الظهور كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

ومجموعة "ظلمات وأشعة " قسمتها "مى" الى ثلاثة أقسام : لكل منها مقدمة ، عنوان الاول :من كوة الحياة" والثانية "نحو مرقص الحياة" والثالثة " في مرقص الحياة".

ففى المقدمة نرى "مى" تعبر عن شوقها الجارف الى السعادة ، هذا الموضوع الذى شغل أذهان المفكرين الرومانسيين في أوروبا ، في القرن التاسع عشر.

أما في المقدمة الثانية فهى تتحدث عن اختلاطها بالجماهير المندفعة نحو: "مرقص الحياة" ، الساعية وراء السعادة ، فتذكر أن انحرافها بدوامة العيش لم يمنعها من الاحتفاظ بفرديتها وذاتيتها ، لكنها تنتهى إلى الاعتقاد بأنه : "حيث

(206) وجيه بيضون: مارية مصر، مجلة المعرفة، العدد9، 1963م،ص94.

تكون العاطفة مرهفة فهناك النزاع الأليم، وإذا رافقتها الأنفة وشرف السكوت على مضض الحروق والكروب فهناك مأساة الصلب تتجدد مع الأيام (207).

وفى المقدمة الثالثة ، تستعرض "مى " كفاح البشرية وصراعها لتحقيق أحلامها ومطامعها ، وما يتخلل ذلك من أفراح وآلام فتخوض "مى" هذا الصراع وتنجلى لها سخرية الاقدار وضلالتها وعبثها بأماني البشر وأحوالهم وتثور في نفسها تساؤلات لا تجد لها جواباً واعتراضات لا تلقى لها صدى..

غير أن مقالات الكتاب لا تراعى في تقسيمها موضوعات المقدمات ، وليس لكل من الاقسام موضوع موحد ، بل نجد الأمل واليأس ، الاطمئنان والقلق ، والوضوح والإبهام تتجاور وتتعانق في كل الاقسام الثلاثة.

فالقلق والحيرة والتساؤل اللا مجدى عن معنى الوجود نراه يسود فى مقالات نشيد نهر الصفا و"دمعة على المغرد الصامت" و" عند قدمي أبى الهول".

وتبرز ومضات الأمل والتفاؤل في مقالات "بين عامين " و "كن سعيداً" وتشتعل ثورتها على الظلم ويتفجر عطفها على البشرية المعذبة في مقال "بكاء طفل" و"سيدة البحار" و"حكيم وطالب الحكمة" و"ليلة عيد النصر" ،أما في "السهرات الراقصة" فيؤلمها ما ترى في هذه الملاهي من زيف وثرثرة وتفاهة ، وفى "الموضوع التائه" تنتقد رغبة الناس في الجدل العقيم.

---

(207) روز غريب : نسمات وأعاصير، ص46.

الخلاصة أن هذا الكتاب "ظلمات وأشعة" يبرز لنا ميزة "مى" الكتابية في قدرتها على توسيع المعنى الواحد والإحاطة بجميع وجوهه القريبة ، وهو يزخر باللوحات الوصفية التي تطير الخيال بصاحبتها إلى ما وراء الواقع ، فتذكر أسلوب الكتاب الرومانسيين الذين اتخذوا الواقع معبرا إلى الافكار الميتافيزيقية ، وساورتهم الاسئلة عن نعانى الوجود ، فمزحوا بين الواقع والخيال وبين العاطفة والفكر والتأهيل .

أما من ناحية أسلوب الكتاب فقد بلغ "مي" الفني طور النضج وتبلور فيه شكل المقالة الممتازة بصحة التقسيم وحسن الانتقال وقوة الخاتمة ، وتبرز خاصية هامة وهى تنويعها بصيغ العبارات وأطوالها ، وتنوع حجم الفقرات وأشكالها بحيث يصبح النغم أو الموسيقى الإيقاعية في مأمن من الرتابة والملل.

رأيناها في "أزاهير حلم" تركز على موضوع الطبيعة ، ولاحظنا في تفكيرها وأسلوبها قصر النظر ، وضيق الحال ، أما في "ظلمات وأشعة" فتنوعت الموضوعات كما تنوع الاسلوب ، تخرج من دائرة الذات وتصبح شاملة إنسانية ، تسترسل في التأمل وفى الوصف ، توسع الكلام بالتعداد ، بالمقارنة ، والنضال ، بالنعوت والصفات بالإشارات الدينية والتاريخية . تقحم الحوار توالى الاسئلة وعبارات التعجب والهتاف ، ولها في التكرار فنون مستحبة ، منها تكرار كلمة:

"الأفق واسع واسع ، والليل عميق عميق من مقالة "عند قدمي أبى الهول" تللك السبل الممتدة الممتدة وكأن غبار منها ينتهى إلى قرص الشمس من مقالة " أين وطني".

أو تكرار عبارة بشكل مختلف بعض الاختلاف :"من الشمس المميزة في جناني وزعت أنواراً على الذين معي من السائرين ، وزعت من شمس جناني أنواراً ومن منهل غبطتي تعزية على المحزونين من السائرين من مقالة "نحو مرقص الحياة"

تكرار فقرة بارزة أو موفقة على أبعاد مختلفة من المقال ، مثل:

"ففتل شاربيه بأناقة ، ورنا إليها بإعجاب ، وانحنى شاكراً لأنه متواضع ...من مقالة "السهرات الراقصات" وتتفنن في التنسيق الممتاز والايقاع:

"من القمم والاودية ، من الصخور والينابيع ، من الاحراج والمروج ، تتعالى معانى بلادي في الضحى، وعند الشفق تتكامل أرواح الاشياء وتتجمهر ، كأنها تتداول في إنشاء عوالم جديدة "من مقال " أين وطني"

وتوفق في التشبيه والتصوير :
"انتهت قصيدة الجبال اللبنانية "
"نفسى قيثارة الاحلام والألحان"
"اليوم تجرحني الأصوات والخطوات والنظرات"
"العيون التي عسكرت فيها الحفائظ والاحقاد"(208)

ولعل أبرز صفة لأسلوب "مى زياده" في الكتابة هو حرصها على اختيار المفردات المناسبة وإيثارها للألفاظ الطريفة والموسيقية الممتدة فتقول:

(208) كل النصوص الواردة من كتاب نسمات وأعاصير في الشعرالنسائى العربى المعاصر، روز غريب ، بيروت.

"الطبيعة العلماء بدلاً من العليمة ،"الاوراق الذابلات " والاطوار المتساندات" والليالي الراقصات " عوض عن الذابلة والمتساندة والراقصة " هكذا تأدي "لمى زيادة" أن تنشئ الفصول الفياضة باللوامع من الفكر الوضيء ، والعاطفة المشبوهة في أراقى المجلات كالهلال والمقتطف والمحروسة والزهور ، كما صدرت عن تأليف جمه منها بين المد والجزر وهو من إخراج دار الهلال بمصر جعلته هدية الى قرائها عام 1924م ، وتدور بحوثه على اللغة والآداب والفن والحضارة ، ومنها الصحائف ، وهو وهو مجموعة من مقالات وخطب ....وكانت لها محاضراتها القيمة في الجامعات والمنتديات سواء في مصر أو غيرها من البلدان العربية ، وكانت مثار الاعجاب عند علية القوم وكبار المفكرين بما استجمعت من آدب راق، وعلم غزير تزينها الفكاهة الحلوة ، والحديث العذب والصوت الحلو... (209)

بعد هذا العرض السريع لبعض كتابات "مى زياده" والتى جمعت فيها بين نضج الفكرة ، وفنية الأداء مع هذا الثراء الواضح، والشاعرية في الاسلوب نقول:

أن "مى زياده" استطاعت بما تحمل من ثراء فكرى وشاعرية أن تترك أثرين هامين في الادب العربي هما:

الاول: أنها قدمت إليه الأداء الفني للفكرة الناضجة والثقافة الرفيعة .كما أثرت الادب العربي بأثارها التي تحمل كل خصبها الفكري ونضجها العقلي ووعيها

(209) وجيه بيضون: مارية مصر ، ص94.

الثقافي، مؤداة في أسلوب أدبى رفيع لا تخطئ فيه وجدانية التناول وشاعرية الألفاظ وفنية التعبير.

الثانى: قدمت "مى" للأدب المعاصر أثراً هاماً وهو التقاء التيارات الثقافية من شرق وغرب في أدب عربى رصين فقد اتصلت "مى" بالفكر العالمى أوثق اتصال ، وقرأت الآداب الغربية بمختلف لغاتها ، حيث كانت تجيد منها سبع لغات ، واستطاعت مع ذلك أن تعطينا أدبها عربى الروح والبيان ، شرقى الملامح والسمات ، لم يزدها اتصالها بالآداب الغربية إلا اعتزازاُ بعروبتها ، وحفاظاً على شرقيتها ، فكان هذا سر أصالتها التى لم يمسخها التقليد والتغريب ، على نحو ما يفعل كثير من أدباء العصر ، يكتبون العربية بأسلوب غربى ، ويقدمون لنا آثارهم في ثوب مهلهل عربى الشكل أجنبى المادة والنسيج .

وتواصل المرأة العربية سيرها ، فتتجه الاديبة العربية في المجال الادبى الصرف إلى الشعر والقصة حيث يغلب عليها فيهما ، التعبير عن مشاعر الانوثة وعواطفها وهمومها ، والاديبة العربية لم تستجب هذا إلى طبيعتها فحسب ولكن تريد أن تعبر عن ذاتها بعد أن استأثر الرجال الادباء طويلاً بالتعبير عنها ، وترجموا لنا أشواقها وتولوا الحديث عن تجربتها العاطفية التى هى جوهر وقوام أنثوتها وسر حياتها.

فلم تتكلم خولة ، وعبلة، وهند، والثريا، وبثينة، وعزة، ومية ، وفوز، وأسماء ، إنما تكلم عنهن امرؤ القيس ، وابن أبى ربيعة ، وجميل وكثير والعباس بن الأحنف.

وبتحرر المرأة العربية بعد قرون استعبداها ،حق لها أن تتحدث عن ذاتها أصالة ، وأن ترسم بقلمها صورة الأنثى كما تراها في كيانها وتجدها في ذاتها وتفهمها بفطرتها.

فلاذت بالشعر تعبر به عن مطوى أشواقها وأسرارها ذاتها ومكنون عواطفها وقد مهدت "أم نازك الملائكة ": سلمى بنت عبدالرازق الكاظمية لظهور عدد من شاعرات العراق ، ترنمن بأناشيد وجدان حواء المرهف وحسها المشبوب ، وأولى هؤلاء الشاعرات ، ابنتها "نازك الملائكة" قمة الشعر النسوى المعاصر التى استطاعت أن تنتزع للأديبة العربية مكاناً مرموقاً بين أعلام الشعراء ، وأن تفرض على الأدب الحديث ، بالاعتراف بالأديبة شاعرة من الطراز الاول في "نازك الملائكة " شاعرة لوالدين شاعرين فأمها صدر لها ديوان "أنشودة المجد" وطفلتها "نازك" بعد في السنوات الاولى من عمرها ... ووالدها الشاعر قدم لنا الموسوعة الضخمة "دائرة معارف الناس" التي تقع في عشرين جزءاً.... (210)

هكذا رضعت "نازك" الشعر منذ طفولتها وعاشت جوه وأحاسيسه وترنمت بأغانيه وقوافيه...

أصدرت ديوانها "عاشق الليل" في عام (1947م) ، تقدم عاشقة الليل ديوانها بنفسها تقول:

(210) دلال العلمى الخالدى : نازك الملائكة ، مجلة الثقافة ،1984م، ص49.

أعـبر عـما تحــس حياتي
وأرسم إحساس روحي الغريب
فأبكى إذا صدمتني السنون
بخنجرها الأبدي الــرهيـب
وأضحك مما قضاه الزمــان
على الهيكل الآدمي العجيب
وأغضب حين يداس الشعور
ويسخـر من فـوران اللهيب(211)

أما لماذا إحساس روحها غريب .... ولماذا دائماً "نازك" تخشى السنين ...تراها كالخنجر الرهيب....هذا ما لم تفصح به كل دواوين الشاعرة بل نجدها تتغنى بالعذاب بالألم بالخوف من الزمن ...إحساس رهيب داخلها لا تفسره ولا تقدم له دليلاً معيناً واضحاً.

وفى مكان آخر تأسف "عاشقة الليل" على الطفولة الضائعة تقول فى قصيدتها ذكرى مولدي(212)

أسفاً ضاعت الطفولة فى الما ضى وغابت أفراحها على جفوني
وهى لو تعلمين أجمل ما يمد لــك قـلـبي ومـا رأتــه عـيـونـــي
حينما كنت طفلة أجهل السر وأحيا فـى غفلـة مـن شجونـــــي

(211) نازك الملائكة: عاشقة الليل ،ص 65.
(212) نازك الملائكة: المجلد الثانى قصيدة ذكرى مولدى

أبدعت "نازك الملائكة" فى تصوير ما يدور فى علقة الباطن ، وما يدور بأحلامها بأشكال جديدة وإيقاعها منوعة لا عهد للعربية بها.

ففى قصيدها "الافعون" بديوانها "شظايا ورماد" التى يبدو أنها تقصد بها الذكريات المؤلمة التى ترقد فى عقلها الباطن ولا تفارقه تقول:

أين أمشى مللت الدروب

وسئمت المروج

والعدو الخفى اللجوج

لم يزل يقتفى خطواتى ، فأين الهروب؟(213)

ففى هذه القصيدة تبهرنا الشاعرة بتوضيح ما يثور فى عقولنا الغافية من ذكريات أليمة ، وانفعالات مثيرة راسبه ، لا يستطيع المرء التهرب منها ، وإن خادع نفس بالهروب منها أو نسيانها، فهى لا تنفك تطارده فى لحظات الحياة المشرقة أو المظلة ، وقد عبرت عن هذه الفكرة النفسية تعبيراً قوياً موحداً متماسكاً بلغ الغاية من تصويرها فكرتها السيكولوجية العميقة.

وها هى تحدثنا عن الحياة فى قصيدتها "جامعة الظلال" وترى أنها وهم وأباطيل وفراغ ، وهى فكرة متشائمة سلبية تنم عن حالة نفسية ، ولكنها عبرت عن هذه الفكرة تعبيراً متحرراً موفقاً تقول:

أخيراً لمست الحياة

وأدركت ما هى أى فراغ ثقيل

أخيراً تبنيت سر الفقاقيع واختيباه

وأدركت أنى أضعت زماناً طويل

(213) نازك الملائكة: ديوان "شظاياً ورماد" من قصيدة الافعون ، ص62.

ألم الظلال وأخبط فى عتمة المستحيل
ألم الظلال ولا شئ غير الظلال(214)

لكن" نازك" التى بهرتنا بصناعتها الفنية وتقنيتها الجديدة المتحررة البارعة لم تخلد دائما فى قوقعتها ، ولكن خرجت قليلاً عن القوقعة ، ورأت الوجود بعينى الشاعر(215)

فكتب بعض القصائد فى ديوانها " شظايا ورماد" و"قرارة الموجه" فصورت بعين الخيال ما فعلته الكوليرا فى مصر وأجادت التصوير ،تقول:
الصمت مرير
لا شيء سوري رجع التفكير
حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير
الجامع مات مؤذنة
الميت من سيؤبنه
لم يبق سوري نوح وزفير(216)

ومع بداية الثلاثينات من القرن العشرين تترد فى العراق قضايا تعليم المرأة والحجر عليها فكراً وجسداً ، وكانت الصحف والمجلات والشعر بمثابة المنابر للدفاع عن هذه القضايا ، وهذه القضايا لم تحسم بين عشية وضحاها ، بل ظلت وقتاً طويلاً حتى تقبل المجتمع العراقي، صاحب العادات والتقاليد المحدودة لدور المرأة فى

(214) نازك الملائكة: ديوان شظايا ورماد " قصيدة الظلال ، ص86.
(215) مصطفى عبداللطيف السحرتى: شعر اليوم، دار ممفيس للطباعة ، القاهرة، ط الاولى، 1957م، ص52.
(216) نازك الملائكة: ديوان "قرارة الموجه" من قصيدة الكوليرا،ص124.

المجتمع ، وهذا الوجه الجديد للمرأة ، فكان من الطبيعي أن نجد أثر هذه القضايا يظهر فى الجيل الجديد الذى تأتى "نازك" فى مقدمته ، وقد كان دفاع "نازك" عن المرأة التى عانت من قسوة التقاليد العراقية وصلف بعض الرجال من أكثر المضامين حضوراً في شعرها ، وأوضحها موقفا، أما موضوع المرأة كقضية فإنه وجد طريقه إلى أدبها الفكري لا الشعرى فقد تبنت قضية المرأة ووضعها في المجتمع بقوة ووضوح وحجة بليغة وجرأة فائقة.

ونددت بالادعاءات التي يدعيها الرجعيون من أن المرأة لا تملك مواهب عقلية لأن التفكير يلوح وكأنه خاصة رجالية.... (217)

وتقف لهؤلاء وقفة ذات حجة ورأى حاسم وتتساءل ما عذر مجتمع يضحى بنصف أفراده بدعوى المحافظة على راحة النصف الثاني ،ونددت أيضاً بمن يزجون بالمرأة إلى هفوات اجتماعية أبرزها الاهتمام بالمظهر على حساب الجوهر . كالتأنق فى الزينة بالمبالغة والتبرج وإهمال العقل الذى لا يجتمع مع التأنق ليصبح هذا التأنق شر عظيم يعلق بذهن المرأة ويقتل فيها الروح ، ويعود بها إلى عهد التخلف والرجعية "فالتأنق شر عظيم يلتصق بذهن المرأة ويقتل روحها ، ويذل عقلها لأنه يمد مظهرها على حساب ذهنها ويكر بها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشترى".(218)

(217) نازك الملائكة : من مقالة التجزيئة في المجتمع ،دار العلم للملايين، بيروت،طالاولى،1972م، ص44.

(218) نازك الملائكة: من مقالتها "التجزئة في المجتمع العربى"، ص45.

وهناك العديد من القصائد التى تطرقت فيها لحياة المرأة العربية ، منها قصيدة النائمة فى الشارع" فيها تشعر بقسوة الانسان وتنكره ، وتجرده من معانى الرحمة والرأفة لاسيما عندما يرى طفلة صغيرة فى الحادية عشرة من عمرها ، تفترش الارض فى مكان مهجور بإحدى شوارع العراق ، وهى تعانى الجوع والمرض والموت فيقابلها بالازدراء والتنكر واللامبالاة:

أيــام طفولتها مــرت فى الأحــزان
تشريــد ،جوع، أعـوام من حرمــان
إحدى عشرة كانت حـزناً لا ينطفئ
والطفلـة جـوع أزلــى ، تعــب ظمأ
ولمن تشكو ؟ لا أحد ينصت أو يعى
البشريـــة لفــظ لا يسكـنه معـنـــى
والـناس قــناع مصطنع اللون كذوب
خلـف وداعته اختبأ الحـقد المشبوب
والمجتمع البشرى صريع رؤي وكؤوس(219)

وإذا تصفحنا ديوان "قرارة الموجة" وقصائدها التى نشرت بعده وقعنا على تفتح للمشهد الوطنى ، وشعرها فيه مقفى ، من ذلك قصيدتها "الشهيد" و"الراقصة المذبوحة" وهى فى شعب الجزائر الذى خرج يطالب بحقوقه فتصدى له المستعمر الفرنسى بكل عنف ووحشية ، فكانت المذبحة الرهيبة التى راح فيها غدراً آلاف المواطنين ، فصورت لنا الشاعرة تلك المذبحة وما فيها من مظاهر الألم والحسرة بأسلوبها الساخر المعتاد:

(219) نازك الملائكة: ديوان قرارة الموجة من قصيدة النائمة في الشارع ، 1957م،ص229.

1–وجنون يا ضاحياً أن تثورى وجنون غضبة الأسرى العبيد

2–أرقصى رقصة ممتن سعيد وابسمى فى غبطة العبد الاجير(220)

وتتفاعل نازك مع قضايا أمتها العربية وتعانى حزنها وآلامها فتغنى لشعب فلسطين فى قصيدة "النسر المطعون"

1–فى قلبه النابض قد أغمدوا رمحاً غليظ الحد خشن الشفاه

2–من صدر الحر يغذى الثرى والورد يستنبته من دماه

3–يا رمح إسرائيل مهما ارتوى من جنحه من روحه مناه

4–يبقى ثرانا عربى الشذى والضوء يبقى عربى المياه

5–يافا وحيف فى غد نلتقى فنحن والضوء على موعد

6–تبقى فلسطين لنا نعمة قـدسـية علـى فـم المنشد

7–ونسرنا الشامخ لن ينثنى أمام باب الزمن الموصد

8– غداً فلسطين لنا كلها كـأن إسرائيل لـم تـوجـد (221)

وفلسطين ليست قطعة أرض ، إنما هى قلب الوطن العربي الام ، قيمتها فى قبة الصخرة ، حيث كانت معجزة الاسراء ومقام إبراهيم عليه السلام فهي قبلة المسلمين الاولى، فألمها فى قلب كل عربي ، ولهذا لم تكد ترى الشاعرة صورة قبة الصخرة على بطاقة معايدة حتى انفعلت وجادت قريحتها بأصدق المعاني وأرقها تقول:

يا قبة الصخرة

يا جرح ..يا ضماد ..يا زهرة

(220) نازك الملائكة: قصيدة الراقصة المذبوحة، ص332.

(221) نازك الملائكة: ثلاث اغنيات عربية، قصيدة النسر المطعون، ص 497.

يا رعشة التقوى ، ويا انخطافة الصلاة
يا أثر السجود فى الحياة
يا قبة الصخرة
يا رمز ، يا تاريخ، يا فكرة غداً يختلج اسم الله فى القدس وفى الخليل(222)

كما غنت نازك للامة العربية وللوحدة العربية فى قصيدتها "الوحدة العربية" التى قدمتها عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة فى عام 1963م:

1-يا صميم الدجى الذى أسدل الستـ ر على بيدنا الرحاب النقية

2-يا جراح التقسيم ،يا عار إسرا ئيل فى جبهة الصحارى الأبية

3-يا مسيل الدماء فى عنق المو صـل بـاسم السلام والحريـــة

4-كم حلمنا بوحدة العرب الكبرى وهمـنا بـفجـرها الـــوضـــاء

5-كم شدونا بها عروبتنا ظمـ أى إليـها تـظل دون ارتـــواء(223)

وتعتبر "نازك" ناقدة جيدة ومتذوقة وحساسة يدل على هذا كتابها الاول "قضايا الشعر المعاصر" (224)والثاني "الصومعة والشرفة الحمراء"(225)وهو دراسة نقدية في شاعر العذوبة والجمال صاحب أغنية الجندول وليالي كليوباتره الشاعر على محمود طه لقد ابدعت نازك في كتابها هذا ، وأثبتت جدارتها وتعمقها بعلم النقد

(222) نازك الملائكة: ديوان للصلاة ثورة، ص152.
(223) نازك الملائكة :المجلد الثانى "الوحدة العربية"، عند اعلان ميثاق الثلاثية من القاهرة، ص519.
(224) نازك الملائكة: قضايا الشعر العربى المعاصر ، دار العلم للملايين، بيروت ،ط5، 1978م.
(225)نازك الملائكة: محاضرات في شعر على محمود طه ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ،1965م.

وأصوله وقدمت الشاعر دراسة وتوزيعاً وقصائد كأفضل ما تكون الدراسة العلمية النقدية الرائدة.

أدمت الوقوف حيال "نازك الملائكة" وذلك لغزارة نتاج نازك الشعرى والأدبي فقد قدمت للشعر العربي تسعة دواوين متنوعة بين الشعر التقليدي والشعر التجديدي والشعر الحر ، وقد جاءت على النحو التالي :

1-مأساة الحياة 2-أغنية للإنسان(1)

3-أغنية للإنسان(2) 4-عاشقة الليل

5-شظايا ورماد 6-قرارة الموجة

7-شجرة القمر 8-للصلاة والثورة 9-يغير ألونه البحر

ولنازك الملائكة مؤلفات أخرى منها التجزئة في المجتمع العربي ، ثم كتاب آخر سيكلوجية الشعر" ، وهو كتاب نقد ، والشمس وراء الغمة " مجموعة قصصية ....اثنا عشر كتاباً وأكثر أثرت بهم نازك الملائكة المكتبة العربية غنت وترنمت وابدعت ولونت... وسيظل شعرها معبراً عن رائدة من رائدات الشعر في عصرنا الحديث وعن نافذة جريئة وباحثة متعمقة في أصول الشعر وفنونه.،

ومع "نازك" ظهرت في العراق شاعرات أخريات مثل رباب الكاظمى وعاتكة الخزرجى وفطينة النائب".

أما رباب فتمثل المذهب التقليدى في الادب النسوى ، وفطينة تعلن في شعرها ثورة المرأة الجديدة على ما لا يزال يثقلها من رواسب الكبت وبقايا القيود وترفع صيحة التمرد على الاغلال في ديوانيها "رنين القيود" ، و"لهيب الروح" ، على حين تميل "عاتكة" إلى القصة الشعرية.

ومن فلسطين خرجت "فدوى طوقان" شاعرة موهوبة لا تخطئ في شعرها العاطفى شذى عطر حواء ، وأنثى الشرق بكل سرها وسحرها فقد اقتحمت "فدوى طوقان" عالم الحب ، وعاشت أفراحه وأحزانه ففى شعرها أكثر من حبيب وأكثر من تجربة وهى تصور واحدة من هذه التجارب بحس الأنثى ، وخجل العربية تقول:

والتقينا.....لم أدرى أى قوى

ساقتك حتى عبرت درب حياتى

كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى

خطوك؟ كيف انبعث في طرقاتى

يا لعينيك!!أى نفضة بعث

أوجدتها عيناك في أعماقى

وهى تتكلم عن لقاء أعدت له ، ولم يكن محض صدفة:

هم يحسبون

لقاءنا محض صدفة

هل كان صدفة

من قال؟ من أين همو يعلمون؟

أنت الذى يعلم

وأحمر الشفاه والعطر والمرأة

وزينيتى هى التى تعلم

لا همو!

وتطالب بالعبودية من الحبيب:

حبيبى....بما بيننا من عهود

بضحكة عينيك
إذا أنا ضقت بأغلال حبى
وثرت عليها ، وثرت عليك
فلا تعطنى أنت حريتى
فقلبى قلب إمرأة
من الشرق....يعشق حتى الفناء
ويؤمن في حبه بالقيود(226)

وهى تطير طيراناً حين قال لها الشاعر الإيطالى "سلفاتور كوزيمودو" في استوكلهلم "أنت حلوة" وهى تؤكد أنها حين تكون على موعد حب لن يقف في طريقها حتى الموت(227) ولفدوى طوقان عدة دواوين شعرية

منها "وحدى مع الايام "تصور فيه وطأة نكبة فلسطين على وجدان شاعرة ، انتزعت من دنيا صباها ومراتع طفولتها ومرح أنسها ، لتجد نفسها غريبة بلا وطن.

وفى ديوانها "أعطنا حباً" تصور الحيرة والقلق والضياع ، لجيل الشباب في فلسطين.

وهناك العديد من الشاعرات العربيات ، ينظمن الشعر العاطفى ، ويلقين القصائد في المناسبات القومية.

أما في ميدان القصة فقد ظهر من الكاتبات العربيات العديد نذكر منهن الاديبة الفلسطينية "سميرة عزام" كاتبة بارعة في القصة القصيرة ، استطاعت بمجموعاتها

(226) نسمات وأعاصير في الشعر النسائى: روز غريب،بيروت

(227) د. عبده عبدوى: قضية التعبير عن الحب عند الشاعرات ،مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن عشر، العدد الثانى،1987،ص232.

القصصية "أشياء صغيرة" والظل الكبير" ، وقصص أخرى أت تشهد بأصالة الانثى وتفوقها في هذا المجال ، وأكثر نماذجها القصصية من واقع الحياة ودنيا الناس ، لكن دون أن تخطئها فنية التناول والاداء.

كما بررزت" كوليت سهيل خورى" كاتبة سورية تكتب القصة القصيرة والرواية كتبت قصصها في براعة واقتدار ، واستطاعت على حداثة عهدها بالميدان الادبى أن تشغل النقاد بقصتها "أيام معه" وقصته "ليلة واحدة" وموضوع الاولى يدور حول تمرد حواء الشرق على كل كبت اجتماعي ، أو عاطفى / وموضوع الثانية عن مأساة زواج بغير حب.

وتأتى "غادة السمان" السورية المولد اللبنانية النشأة كاتبة عربية من الطراز الاول ، نالت شهرة واسعة في مجال الكتابة (القصة القصيرة –الرواية–كتابة المقال– الخواطر–كتابة التحقيق الصحفى).

ترجمت معظم أعمالها إلى العديد من اللغات ، وأشاد بكتاباتها الكثير من النقاد العرب والاجانب ، وماتزال محور اهتمامهم وغادة السمان من أكثر الاديبات العربيات انتشاراً ورواداً وغزارة إنتاج ومن أهم إصداراتها نذكر الآتي:

1–عيناك قدري (مجموعة قصصية صدرت سنة 1962م)

2–لا بحر في بيروت(مجموعة قصصية صدرت 1963م)

3–الاعماق المختلفة (4مقالات 4طبقات)

4–أعلنت الحب عليك(إبداع سنة 1980م)

5–ع.غ تتفرس(صدرت سنة 1980م)

6–ختم الذاكرة بالشمع الأحمر(صدرت 1979م)

امتازت كتاباتها بالجرأة في طرح مواضيعها ، كما نجحت في تناول قضايا المجتمع بصدق وأمانة ، وذلك من خلال ما تبثه في مقالاتها من تعاليم خلقية واجتماعية ووجدانية ، اهتمت في كتاباتها بالأمية وقضايا المرأة العربية والوعى بحقوقها ومكانتها ومسئوليتها ، ولعل كثرة أسفار الكاتبة وتنقلها من بلد لآخر داخل الوطن العربي أو خارجة أدى إلى نمو الحس القومي والدفاع عنه بسلاح الكلمة ممثلاً في كتاباتها سواء التي كتبتها داخل الوطن العربي أم في الخارج.

وغادة السمان هي السمة البارزة في مجال الكتابة بين النساء العربيات ، لا من حيث جرأتها فحسب في طرح المواضيع، بل في ثقافتها أيضاً ، وليس ثقافة الشهادات الجامعية والقراءات المختلفة والسفر فحسب ، بل الاندماج كلياً بالحياة حيث هي ربما الاديبة العربية الوحيدة التي تعانى ما تكتب على هذا النحو في الالتحام بالحياة وبالبشر ، كاتبة من طراز متفرد وخاص ومميز لا تكاد كاتبة اخرى من قبل تشبهها .... ولا تكاد تجئ كاتبة من بعدها إلا وتحاول التشبه بها"(228)

بالنظر إلى أعمال كاتبات القصة نتبين أنهن يمثلن اتجاهين مختلفين في قصص الاديبة العربية المعاصرة.

الاتجاه الاول: واقعى هادف يتولى الرصد الأدبي لحركة الانتقال العنيفة التي عبرتها المرأة العربية ما بين أسوار الحريم وآفاق الحرية ، ويعد هذا الصنف من القصص النسوي الحديث تراثاً هاماً في الادب المعاصر.

(228) د. أميمة منير جادو: كتابات غادة السمان، دراسة في تحليل المضمون، من فاعليات مؤتمر تنمية المرأة العربية ، الاشكاليات وآفاق المستقبل، 4-6 فبراير 2001م، ص24.

أما الاتجاه الثاني: فيصور التحرر العاطفي لحواء الشرق إثر كبت طويل مرهق ، يشبه أن يكون صيحة احتجاج على ما عانت أمهاتنا من ضغط وقهر ، أو محاولة تكفير عما آذهن من استرقاق وحرمان.

وفى النهاية نشير إلى أديبات العصر الحديث عالجن القضايا الاجتماعية والقومية في مستوى عال ، هيأ لهن مكاناً في القيادة الفكرية العامة جاءت في الصف الأول من بين الكاتبات الاجتماعيات "أمينة السعيد " الصحافية العربية اللامعة ، التي كانت ترأس تحرير مجلة حواء لسنوات عديدة ، وتشغل مركزاً أدبياً رفيعاً في الصحافة العربية وهى من مواليد أسيوط 1910م ،كان والدها من ثوار 1919م وعضواً في الحزب الوطني ، تخرجت في كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية عام 1935م ، عملت في مجلى حواء عام 1954م، وعينت عضواً ف اللجنة الفرعية لشئون الدعوة والفكر الاستشارية بالاتحاد الاشتراكي في مارس عام 1972م تم اختيارها عضواً في الاذاعة والتلفزيون في يناير 76-عملت رئيسة تحرير حواء في مارس عام 1976م مثلت مصر في المؤتمر الدولي لتطوير العمل الاجتماعي بأمريكا في أبريل عام 1976م.

عينت رئيسة لتحرير المصور بالإضافة الى عملها كرئيسة لمجلس إدارة مؤسسة دار الهلال في مارس عام 1977م أنها ابنة ثورة 1919م التى تتلمذت في مدرسة هدى شعراوى زعيمة الدعوة السياسية والاجتماعية لتحرير الوطن من الاستعمار ومن الفقر والجهل ، كانت هي الابنة البكر مدعمة بتراث أسرتها فكرها السياسي في ميدان النضال الوطني من خلال الحزب الذى كان والدها أحد أعضائه وفكرها التقدمي الذى يؤمن بأهمية تعليم الفتاة مثل الولد فكان لابد أن

تصبح أمينة السعيد في النهاية كاتبة لا تحمل القلم ترفاً أو ديكوراً بل حولته في يدها إلى سيف تحارب به مدافعه عن مبادئ تواقة إلى تغير واقعها العام ودوافع المرأة على الخصوص وبالذات بعد أن خاضت تجربتها الدراسية وهى الاولى دائماً بين ثلاث فتيات التحقن بالجامعة عام 1931م ، الاولى تلتحق بقسم اللغة الانجليزية ، والاولى التي احترفت الصحافة عام1934م، فاحترمتها منذ أن عملت في دار الهلال(229)

ود."عائشة عبدالرحمن" التى تولت الدفاع عن قضيتها الفلاح في مقالات تتابعت على صفحات الاهرام لسنوات ، ثم في كتابها "الريف المصري ..وقضية الفلاح وقصتها "سيد العزبة " التى تصور فيها بشاعة الاقطاع اللئيم في مأساة امرأة خاطئة .وعائشة عبدالرحمن أو بنت الشاطئ اسم وعلامة في تاريخ الثقافة المصرية هذه السيدة التى انطلقت من زمن الحريم الى رحاب الجامعة الى الحياة الثقافية الى رحابة الفكر وشمولية الرؤى ليكون لها تلاميذ على امتداد الساحة العربية.

أطلقت على نفسها "بنت الشاطئ" لان التقاليد لم تكن تسمح بظهور أسماء البنات في الحياة العامة .

كانت بنت الشاطئ باحثة وأديبة وشاعرة فمن حيث هى باحثة فلها جهد كبير في الدراسات المتعلقة بالبيان القرآنى والتفسير وعلوم الحديث ، ومن حيث هى أديبة وشاعرة فلها جهد واضح في مجال الابداع ، فقد كتبت الشعر ونشرته في مجلة

(229) أمينة شفيق: من أعمال مؤتمر المرأة المصرية الثالث "المرأة وتحديث المجتمع" ، الاهرام، 15 مارس ،2002م، ص35.

"النهضة النسائية" كما نشرت قصصاً ذات طابع اجتماعي في صحيفتي "البلاغ" و"كوكب الشرق "ومن أبرز اشعارها قصيدتها في رثاء زوجها أمين الخولى ، لها 15 كتاباً في الاسلاميات ،و12 كتاباً في الدراسات العربية ،و8 كتب في الادب، و5 كتب في الدراسات القومية، أخذت مكانها ككاتبة في الاهرام منذ عام 1936م حتى وفاتها عام1998م كانت بنت الشاطئ أول سيدة تحاضر في الازهر في ندوة عامة حضرها 10 آلاف مواطن وكان عنوان الندوة "حاجة الشباب إلى مثل وأهداف" في نوفمبر 1959م(230)

كما لمعت د. سهير القلماوى في كتابة المقالات التى تهتم بهموم المجتمع
حصلت سهير القلماوى(1911-1997م) على الدكتوراه في الاداب من الجامعة المصرية برسالة عن (ألف ليلة وليلة).
كما حصلت على الجائزة الاولى من مجمع اللغة العربية ، لتصبح أول إمرأة تنال الدكتوراه في الآداب من جامعة مصرية ، تخرجت من الجامعة عام1933م ، كانت اول امرأة تشغل درجة استاذ في اللغة العربية 1956م ، ثم أصبحت أول امرأة رئيسة لقسم اللغة العربية 1958م إلى عام 1967م اسست جمعية خريجات الجامعة ، نشرت سهير القلماوى مقالات صحفية وهى مازالت طالبة بالجامعة ، كما نشرت قصائدها الاولى في مجلة أبوللو في 1935م صدرت لها مجموعة قصصية أحاديث جدتى " يعتبرها النقاد مجموعة رائدة في الفن القصصي ، لها

(230)أمينة شفيق: من أعمال مؤتمر المرأة المصرية الثالث "المرأة وتحديث المجتمع" ، الاهرام، 15 مارس ،2002م، ص34.

العديد من المؤلفات في الابداع والنقد والترجمة مثل" الشياطين تلهو" (1964م)، (قصص)"ألف ليلة وليلة"(1943) ، "أدب الخوارج" (1945م)المحاكاة في الادب 1955م "في النقد الأدبي"(1955) "العالم بين دفتى كتاب" (1985م) ، كما ساهمت في حر كة الترجمة من خلال "ترويض الشرسة" لشكسبير "قصص صينية" لبيرك بارك ، كما شاركت في عدد لا حصر له من المؤتمرات والمحافل العلمية (231)

لم أشر إلى الدور الجليل الذى لعبته المرأة العربية في نهضة الصحافة المعاصرة ، وإلى نشاط الاديبة العربية المعاصرة في حركة الترجمة ، وذلك لعلمي أن مثل هذه الموضوعات جديرة بأن يستقل كل منها ببحث خاص منفرد.

وبعد هذا العرض السريع لأعمال بعض المبدعات العربيات نخلص في النهاية الى أهم النتائج التى خرجت بها الدراسة وهى تتمثل في :

1-إن قضايا المرأة ، وهى الموضوع المفضل للمبدعات العربيات في العصر الحديث ، ومثلها القضايا الاجتماعية ، والوطنية التى استأثرت باهتمامهن وعبرن فيها عن رأيهن العام.

2-أن السمة الغالبة على الادب النسوي هي عمق المعاناة وحماسة الانفعال وعاطفية التناول ، مما يحقق له الصفة الادبية.

فالأديبة العربية مهما يكن الموضوع الذى تعالجه لا تستطيع أن تتخلص من عاطفية الانفعال ووجدانية التناول على عكس الذين يعالجون القضايا الاجتماعية

(231)أمينة شفيق: من أعمال مؤتملر المرأة المصرية الثالث "المرأة وتحديث المجتمع" ، الاهرام، 15 مارس ،2002م، ص34.

والقومية أو يشتغلون بالمسائل الفكرية ، فإنهم يؤدونها أداء موضوعيا جافاً ، يقوم على السرد التقريري والتصوير الآلي لأمراض المجتمع.

المراجع والدوريات

1-ابن المعتز: تحقيق عبدالستار أحمد فراج، طبقات الشعراء ، دار المعارف،1981م.

2-د.أميمة منير جادو: كتابات غادة السمان،(دراسة في تحليل المضمون) ، من أعمال مؤتمر تنمية المرأة العربية ،5-7 فبراير ،2001.

3-أمينة شفيق: المرأة وتحديث المجتمع ، مؤتمر المرأة المصرية الثالث ، الاهرام،15 مارس،2002م.

4-د.تريزا جارولو: شاعرات الاندلس، ترجمة د.اشرف على دعدور ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ،سنة 1996م.

5-د.خليل إبراهيم العظيمة: ديوان ليلى الاخيلية ، بغداد ، سنة1967م.

6-د.دلال العلمي الخالدي: نازك الملائكة ، مجلة الثقافة ، سنة 1984م.

7-روز غريب :نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط الاولى، سنة 1980م.

8-زينب فوا:مجلة المشرق ،مجلد(19)،سنة 1921م، مجلة العرفان،مجلد(18،13،4،2)

-الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ،ابن قتيبة ، الكويت .

9-السيوطى:نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق د.صلاح الدين المنجد،دار الكتاب الجديد ، بيروت ،ط بيروت، 1978م.

10-د.شرارة عبدالطيف :مى زيادة ،ط بيرروت،1965م.

11-د.شعبان بهيج:وردة اليازجى،مجلة الحكمة(12)، 1964م.

12-الصولى:أبو بكر محمد يحيى الصولى،أشعار أولاد الخلفاء،دار صادر بيروت،1992م.
13-د.الطاهر احمد مكى:الادب المقارن دراسة نظرية وتطبيقية ، دار المعارف ،1992م.
14-عائشة التيمورية: مقدمات ودراسات منشورة في ديوان حلية الطراز، القاهرة، دار الكتاب العربى، 1952م.
15-عبدالامير الاعسم:سيكلوجية العلاقات بين مى زياده والرجال،مجلة الاقلام ،1966م.
16-د.عبده بدوى:قضية التعبير عن الحب عن الشاعرات ،عالم الفكر ، المجلد الثامن عشر،العدد الثانى، 1987م.
17-د.قرشى عباس دندراوى:عنان الناطفى، حياتها وشعرها، دار المعارف،ط الثانية،1996م.
18-د.ليلى محمد ناظم الحيالى: معجم ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام، ط الاولى، بيروت، سنة1999م.
19-د.ماريا خسيوس روبيرا: المعتمد ابن عباد ،مدريد،1982م.
20-د.محمد عبدالغنى حسن: مى أديبة الشرق والعروبة،دار عالم الكتب ،القاهرة.
21-المقرى: نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، وطبعة القاهرة ،1949م.
22-مصطفى عبداللطيف السحرتى:شعراليوم،دار ممفيس للطباعة،القاهرة،ط 1، 1957
23-مى زياده :أزاهير حلم ، ترجمة جميل جبر،دار بيروت، 1952م.

24–نازك الملائكة:–محاضرات في شعر على محمود طه ،معهد الدراسات العربية ، القاهرة ،1978م.

–قضايا الشعر العربى المعاص، دار العلم للملايين،بيروت،ط الخامسة.

–ديوان "للصلاة ثورة"، ط الاولى، بيروت، دار العلم للملايين، 1978م.

–ديوان"شظايا ورماد" دار العودة، بيروت، 1986م.

–ديوان "قرارة الموجة" دار العلم للملايين، بيروت، ط الاولى، 1972م.

–مقالة "التجزئية في المجتمع"دار العلم للملايين ، بيروت، ط الاولى، 1972م.

25–وداد سكاكينى: ندوة مى" ،مجلة المعرفة، العدد(36)، 1965م.

26–وجيه بيضون: مارية مصر" مجلة المعرفة، العدد(9)، 1963م.

غرناطة

نزار قبانى:

نزار بن توفيق القبانى(1342-1419هـ/1923-1998م)دبلوماسى وشاعر سورى معاصر ولد فى 21مارس 1923 من اسرة عربية دمشقية عريقة إذ يعتبر جده أبوخليل القبانى من رائدى المسرح العربى درس الحقوق فى الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945انخرط فى السلك الدبلوماسى متنقلا بين عواصم مختلفة حتى قدم استقالته عام 1966؛ أصدر أولى دواوينة عام 1944 بعنوان قالت لى السمراء وقد وافته المنية فى 30 ابريل 1998ودفن فى مسقط رأسه دمشق.

فى مدخل الحمراء كان لقاؤنا ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

عينان سوداوان.. فى حجريهما تتوالد الابعاد من أبعاد

هل أنت إسبانية.. ساءلتها قالت: وفى غرناطة ميلادى

غرناطة! وصحت قرون سبعة فى تينك العينين.. بعد رقاد

وأمية.. راياتها مرفوعة وجيادها موصولة بجياد

ما اغرب التاريخ كيف أعادنى لحفيدة سمراء .. من أحفادى

وجه دمشقى.. رأيت خلالة أجفان بلقيس ... وجيد سعاد

وأيت منزلنا القديم ... وحجرة كانت بها أمى تمد وسادى

والياسمينة رصعت بنجومها والبحرة الذهبية الانشاد

****

ودمشق .. أين تكون؟ قلت ترينها فى شعرك المنساب نهر سواد

فى وجهك العربى فى الثغر الذى مازال مختزنا شموس بلادي

فى طيب جنات العريف ومائها فى الفل فى الريحان فى الكباد

سارت معى... والشعر يلهث خلفها كسنابل تركت بغير حصاد

يتألق القرط الطويل يجيدها مثل الشموع بليلة الميلادى...

ومشيت مثل الطفل خلف دليلتى وورائى التاريخ... كوم رماد..

الزخرفات أكاد أسمع نبضها والزركشات على السقوف تنادى

قال: هنا الحمراء .. زهو جدودنا فاقرأ على جدرانها أمجادى

أمجادها!! ومسحت جرحا نازفاً ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي

يا ليت وارثتى الجميلة أدركت أن الذين عنتهم أجدادي

***

عانقت فيها عندما ودعتها رجلاً يسمى طارق بن زياد

من نص مصر تتحدث عن نفسها لحافظ إبراهيم

(1287-1351هـ/ 1871-1932م)

هو شاعر النيل محمد حافظ بن ابراهيم فهمى المهندس الشهير بحافظ ابراهيم شاعر مصر القومي ومدون أحداثها نيفاً وربع قرن ، ولد فى ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط ، وتوفى أبوه بعد عامين من ولادته ، ثم ماتت أمه بعد قليل ، وقد جاءت به الى القاهرة فنشأ يتيماً ونظم الشعر فى أثناء الدراسة ، ولما شب أتلف شعر الحداثة جميعاً واشتغل مع بعض المحامين فى طنطا ،فالقاهرة محاميا ولم يكن للمحاماة يومئذ قانون يقيدها ، ثم التحق بالمدرسة الحربية ،وتخرج سنة 1891م برتبة ملازم ثان بالطوبجية وسافر مع حملة السودان فأقام مدة فى سواكن الخرطوم توفى بالقاهرة وله ديوان . (232)

النص :

1–وقف الخلق ينظـرون جميعاً كيف أبنى قواعد المجد وحدى

2–وبناة الأهرام في سالف الدهـ ـر كفونى الكلام عند التحدى

3–أنا تاج العلاء في مفرق الشر ق ودراتـــه فرائــد عقـــدى

4– أى شيء في الغرب قد بهر النا س جمالا ولم يكن منه عندى؟

5–أنــا إن قــدر الإلــه مماتــى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

6–إن مجدى فى الاوليات عريق مـن لـه مثل أولـياتى ومجـدى

7–نظـر الله لي فأرشــد أبنا ئـى فشـدوا إلى العـلا أى شـد

8–قد وعدت العــلا بكل أبــى من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى

9–وارفعوا دولتي على العلم والأخـ ـلاق فالعـلم وحـده ليس يجدى

(232) الزركلى:الاعلام ص76–ج6

10-نحن نجتاز موقفاً تعثر الا راء فيه وعثرة الرأي تـردى(233)

تحليل النص:

أولا: تحليل المضمون

1-عاطفة النص ومناسبته:

يعبر الشاعر فى هذا النص عن عاطفة حب الوطن خاصة وقت الاحتلال الإنجليزي لمصر ، فهذه القصيدة بعد ثورة 1919م غضب المصريون على الانجليز وقد حاول الانجليز تهدئه الموقف عن طريق المفاوضات للقضاء على الثورة فأدرك عدلى يكن رئيس الوزراء فى ذلك نية الانجليز فقطع المفاوضات ، وعاد الى القاهرة واستقال من الحكومة فأقام أنصاره حفل تكريم له 1921م ، ودعى الى الحفل حافظ ابراهيم الذى لم يكن راضيا عن سياسة عدلى يكن فلم يمدحه ولكن جعل قصيدته على لسان مصر وسماها مصر تتحدث عن نفسها.

كما ذكرت آنفاً يأتى هذا النص فى حب مصر فيوضح الشاعر من خلال عن تقديسه للوطن ذاكرا عظمة مصر بين دول العالم ، فعندما كانت مصر تبنى المجد كان العالم يقف ناظرا إليها بدهشة شديدة تدل على الاعجاب بروعة البناء ، وهناك معالم كثيرة تشهد على تفوق مصر فى المجد فآثارها الخالد خير شاهد على ذلك فها هى الاهرامات تشهد عظمة الاجداد ومن ثم يوضح الشاعر مكانة مصر بين دول الشرق الاوسط فسموهم ومجدهم مرهون بحرية واستقلال مصر ،إذ يرتبط وجودهم بوجود بمصر عالية فى عزة وأنفة فلن يرفع الشرق رأسه بدون مصر .

(233) حافظ ابراهيم :ديوانه

وتتحدث مصر فى خطاب الى الشرق والمجد معاً ترجو تحقيق المجد بسواعد أبنائها الأعزاء قائلة : أيها الابناء لا تخذلوني وحققوا أمنيتي وانهضوا بمصركم فى دعوة صريحة الى العلم والاخلاق الطيبة معاً فالعمل بلا أخلاق لا يجدى.

ثم يوضح الشاعر الظروف السياسية التي تمر بها البلاد ناصحاً على لسنا حال مصر قائلة: إن ما تمر به البلاد من ظروف مضنية قد تزل فيه الآراء ومن ثم تنصح مصر أبنائها بأن زلة الرأي تؤدى الى القرار الخاطئ ، وهذا القرار يسوق البلاد الى الهلاك والدمار ،فالنصيحة بالوقوف تجاه قضايا الوطن بشكل حازم قاطع والتحلي بالصبر وحسن النية والاستعداد الكامل لمواجهة الظروف الصعبة .

ثانياً: تحليل الشكل:

الاساليب:

يتميز أسلوب النص بالبناء التركيبي الرصين والجمل المباشرة التي توضح مواطن المفاخرة ، مقدماً الشاعر نصيحته على لسان مصر بأسلوب سلس واضح فيه الى علو قدر الوطن ، وحيث إن النص يعد ضمن غرض الفخر فقد اعتمد الشاعر على التنوع بين الاساليب الانشائية والاساليب الخبرية التي تقيد التقرير والتأكيد على ما يرنو إليه ويهدف؛ ولعل هذا ما يتضح من الاساليب الواردة في النص ، ومنها:

- (كيف أبنى؟!):أسلوب إنشائي استفهام غرضه التعجب.
-(أي شيء في الغرب): أسلوب إنشائي استفهام غرضه النفي
-(قد بهر الناس جمالا): أسلوب مؤكد نقد
-(إن مجدى فى الاوليات عريق) :أسلوب مؤكد بإن
-(من له مثل أولياتي ومجدى): أسلوب إنشائي استفهام غرضه النفي

-(قفوا –وارموا) :أسلوب إنشائي أمر غرضه النصح والارشاد

-(قد وعدت):أسلوب مؤكد بـ قد

-(أنجزوا وعدى):أسلوب إنشائي أمر غرضه النصح والارشاد والحث على تحقيق الوعد.

-(ارفعوا):أسلوب إنشائي أمر غرضه الحث والاستنهاض.

الصور البيانية:

جاء النص غنيا بالصور البيانية التي رسم الشاعر من خلالها صورة الوطن ،ورفعته فى أبهى اللوحات الجمالية التي تزيد من مكانة مصر بين الدول ، وكان من هذه الصور وتلك الآتي:

-(وقف الخلق ينظرون جميعاً)كناية عن الدهشة والاعجاب وسر جمالها الاتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل

-(أبنى قواعد المجد):استعارة مكنية شبه المجد ببناء وحذف المشبه به (البناء)، وصرح بشيء من لوازمه وهو (أبنى) ويوحى بأصالة مصر ورسوخ حضارتها

-(بناة الاهرام):كناية عن قدماء المصرين سر الجمال الاتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل عليه.

-(أنا تاج العلاء):تشبيه بليغ تشبه مصر نفسها بالتاج يوحى مجد مصر

-(مفرق الشرق):استعارة مكنية شبه الشرق بإنسان له مفرق وحذف المشبه به (الانسان)وأتى بصفة من صفاته(المفرق) سر الجمال التشخيص توحى بعظمة الشرق

-(فرائد):استعارة تصريحية شبه عظمة مصر بالجواهر الفريدة حذف المشبه وصرح بالمشبه به سر الجمال التجسيم توحى بقيمة مصر

-أنا إن قدر الإله مماتي):استعارة مكنية شبه مصر بإنسان يتحدث سر جمال التشخيص توحى بالفخر وعزة النفس .

-(قدر الإله مماتي):كناية عن الرضا بقضاء الله وقدره

-(مماتي) :استعارة تصريحية شبه الضعف بالموت حذف المشبه (الضعف) وصرح بالمشبه به(الموت) سر جمالها التجسيم

-(الشرق يرفع الرأس):استعارة مكنية شبه الشرق بإنسان له رأس يرفعها سر الجمال التشخيص

-(إن مجدى فى الاوليات عريق):كناية عن أصالة مصر

-(نظر الله لى):كناية عن حماية الله لمصر

-(شدوا إلى العلا):استعارة مكنية شبع العلا هدفاً علياً ينهض إليه المصريون سر مما يوحى ذلك بعلو قدر الهدف المنشود

-(وعدت العلا):استعارة مكنية شبه العلا بإنسان يوعد حذف المشبه به(الانسان) وأتى بصفة من صفاته(الوعد) سر الجمال التشخيص

-(ارفعوا دولتي):استعارة مكنية شبه مصر بإنسان يتكلم سر الجمال التشخيص

-(ارفعوا دولتي على العلم والاخلاق):استعارة مكنية شبه العلم والاخلاق بدعامين للبناء سر الجمال التجسيم

-(عثرة الرأي تردى):استعارة مكنية شبه عثرة الرأي بشيء مادى يقتل ويدمر وسر الجمال التجسيم

-(موقفا تعثر فيه الآراء):كناية عن الظروف المضنية التى تمر بها البلاد

-المحسنات البديعية :-(جميعا وحدى):طباق يبرز المعنى ويوضحه

-(وعدت وعدى):بينهما جناس يحدث جرساً موسيقياً يثير الذهن ويؤثر فى النفس

ثانياً :النحو

البناء والإعراب فى الأفعال

الاعراب هو الاصل في الأسماء فإن البناء هو الأصل فى الافعال فالفعل الماضي مبنى باتفاق النحاة فى الفعل الماضي أما الفعل الامر فمبنى عند جمهور النحاة ،أما الفعل المضارع فالأصل فيه العراب لمشابهته الاسم إلا في حالتين اثنتين سنذكرهما فى موضعهما –بإذن الله_ وسوف نتعرف أولا على أحوال البناء فى الافعال بأنواعها الثلاثة بشئ من التفصيل ثم نتحدث بعد ذلك عن الاعراب في الفعل المضارع:

البناء فى الفعل الماضي:

الفعل الماضي هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمن التكلم وهو مبنى على الفتح إلا أن يعترضه ما يوجب سكونه أو ضمه(234) وله ثلاثة أحوال فى بنائه : يبنى على السكون ويبنى على الضم ويبنى على الفتح

أولا: بناؤه على السكون:

يبنى الفعل الماضى على السكون أذا اتصل به ضمير رفع متحرك وضمائر الرفع المتحركة هى:

1-تاء الفاعل بأشكالها السته: ومثال بناء الفعل الماضى على السكون إذا اتصل بتاء الفاعل قوله تعالى :قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والارض (235)وقوله تعالى :قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله"(236)

2-نون النسوة: ومثالها قوله تعالى :فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله "(237) فالأفعال (رأينه، أكبرناه ،قطعن ،قلن) كلها أفعال ماضية ، وقد اتصل بها ضمير الرفع (ونون النسوة) ، فسكن آخرها وهو الياء من الفعل (رأينه) والراء من الفعل(أكبرنه) والعين من الفعل(قطعن)واللأم من الفعل(قلن) فهى كلها مبنية على السكون لاتصالها بنون النسوة.

(234)المفصل في صنعة الاعراب ،المؤلف : ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد ، الزمخشري جار الله (المتوفي : 538 هـ) ، المحقق : د علي بو محلم ، الناشر : مكتبة الهلال ، بيروت ، ط الاولي ، 1993 م ، ص 319

(235) الاسراء اية 102

(236) النمل اية 44

(237) يوسف اية 31

3–نا الفاعلين:ومثالها قوله تعالى : ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم"(238) فالفعلان(أهلكنا، ومكنا) كل منهما فعل ماض وقد اتصلا ب(نا) الفاعلين ولذلك كانا مبنيين على السكون على الكاف من الفعل الاول (أهلكنا)وعلى النون الاولى من الفعل الثانى (مكنا).

ثانيا:بناؤه على الضم:

يبنى الفعل الماضى على الضم إذا اتصل به واوا الجماعة ؛ وذلك نحو الفعل(سجدوا) فى قوله تعالى:"فسجدوا إلا ابليس" (239)فالفعل الماضى (سجدوا)مبنى على الضم كما هو ظاهر على الدال لاتصاله بواو الجماعة وكذلك الفعل (كفروا) فى قوله تعالى :إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً".(240)

ثالثاً: بناؤه على الفتح :

يبنى الفعل الماضى على الفتح فى غير الحالتين السابقتين ؛أى :إذا لم يتصل به ضمير رفع متحرك أو واو جماعة فإذا تجرد الفعل الماضى على الاتصال بما يوجب بناؤه على السكون ، أو ما يوجب بناؤه على الضم فإنه يكون مبنيا على الفتح ومثال المجرد من الضمائر نحو قوله تعالى :خلق السموات والارض بالحق

(238) الانعام آية 6

(239)البقرة،34.

(240)آل عمران اية 10

"،(241)، فالفعل (خلق) مبنى على الفتح لأنه لم يتصل به شيئ ونحو الافعال(برق–خسف–جمع) فى قوله تعالى فإذا جمع البصر ،وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر"(242) ويبنى كذلك على الفتح إذا اتصل به تاء التأنيث الساكنة نحو الافعال(سمعت –أرسلت–أعتدت– آتت) فى قوله تعالى "فلما سمعت بمركرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً (243)"أو إذا اتصل به ألف الاثنين أو الاثنتين نحو الافعال(أكلا، طفقا) فى قوله تعالى "فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما يخصفان عليهما من ورق الجنة"(244) ، ونحو الفعل(قالتا)فى قوله تعالى قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء"(245)، وفى قوله تعالى :"ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين""(246)

وتظهر فتحة البناء إذا كان الماضي صحيح الاخر ، مثل ما سبق من الافعال او كان معتل الاخر بالواو ،نحو الافعال :نهو تناهى عقله ،اى كمل ، وبهو :جمل وحسن ، وسرو: كرم وشرف ، ورخو: اتسع خيره وزاد او كان معتل الاخر بالياء،

(241)النحل 3

(242)القيامة ،7 8، 9 يوسف اية 31

(243)يوسف اية 31

(244)طه اية 121

(245)القصص اية 23

(246)فصلت اية 11

نحو الفعل (خشى) فى قوله تعالى :"ذلك لمن خشى العنت منكم "(247) والفعل(رضى) فى قوله تعالى :" رضى الله عنهم "(248)، وفى قوله تعالى "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة(249) "، وتقدر فتحه البناء إذا كان الفعل الماضي معتل الاخر بالألف نحو الافعال (دعا، رمى، سعى، نجا) وذلك لان الالف يتعذر ظهور الحركة عليها أيا كانت هذه الحركة فالفعلان (تولى ،وأتى) فى قوله تعالى (فتولى فرعون فجمع كيدهم ثم اتى " (250)مبنيان على الفتح المقدر ونحو الفعل (دعا) فى قوله تعالى :وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً إليه"(251) وفى قوله تعالى : ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا"(252)

-أحوال البناء فى الفعل الأمر:

ذكرت أن فعل الامر مبنى عند جمهور النحاة ،أما الكوفيون فيرونه معربا ، وأحوال بنائه هي: حذف النون ،حذف حرف العلة ،الفتح، السكون، على التفصيل التالي :

أولا: بناء الفعل الامر على حذف النون:

---

(247)النساء اية 25

(248)المائدة اية 119

(249)الفتح اية 18

(250)طه اية 60

(251)الزمر اية 8

(252)فصلت اية 33

يبنى الفعل الامر على حذف النون إذا اتصل به واحد من ضمائر ثلاثة هى:

1-ألف الاثنين؛ نحو الفعلين (اذهبا، وقولا) فى قوله تعالى : اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا "(253)، فإن هذين الفعلين فعلا أمر وقد اتصل بهما ألف الاثنين ، ولذلك بينا على حذف النون.

2-واو الجماعة ؛ نحو الفعلين (ارجعوا، قولوا) في قوله عز وجل :ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق " (254)فإن كلاً من الفعلين (ارجعوا، وقولوا) قد اتصل به واو الجماعة ، وهما فعلا أمر ،ولذلك بنيا على حذف النون ؛لان أصلهما (ارجعوا ،قولوا).

3-ياء المخاطبة المؤنثة ؛نحو الافعال(اقنتى، اسجدى ،اركعى) فى قوله سبحانه :يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين (255)"، فهى افعال امر مبنية على حذف النون .

ثانيا: بناء الفعل الامر على حذف حرف العلة :

يبنى الفعل الامر على حذف حرف العلة إذا كان كان اخره حرف علة ؛ سواء كان هذا الحرف : الالف ؛ نحو الفعل (أنه)فى قوله تعالى : وانه عن المنكر" (256)، والفعل (ارض) فى الحديث عن ابى هريرة ،قال :قال رسول الله رسول الله

---

(253)طه 43 ، 44

(254)يوسف 81

(255)ال عمران ، 43

(256)لقمان ، 17

صلى الله عليه وسلم : أنا يارسول الله قال من يأخذ من امتى خمس خصال فيعمل بهن او يعلمنهن من يعمل بهن؟ قال: قلت: أنا يارسول الله .قال فأخذ بيدى فعدهن فيها "، ثم قال :اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسمه الله لك تكن اغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك ،فإن كثرة الضحك تميت القلب (257)"

فالفعلان (إنه،ارض) كل منهما فعل أمر وهما مبنيان على حذف حرف العلة (الالف)؛ لان اصلهما (انهى، وارضى) بالالف ويقال فى إعرابهما :امر مبنى على حذف حرف العلة (الالف) ، والفاعل ضمير مستتر وجوباً ،تقديره :أنت. أم الواو؛نحو(اعف)فى قوله تعالى فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين "(258)والفعل (ادع) فى قوله عز وجل:ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (259)فإن كلا من الفعلين (اعف،ادع) فعل امر وهما مبنيان على حذف حرف العلة (الواو) ويعربا:فعل امر مبنى على حذف حرف العلة (الواو) والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره :أنت

(257)رواه البخاري ومسلم ا

(258)لمائده 13

(259)النحل 125

أما الياء ؛نحو الفعل(فأوف) فى قوله تعالى:فأوف لنا الكيل "(260)، والفعل (فأسر) فى قوله تعالى :فأسر بأهلك بقطع من الليل"(261) فهما مبنيان على حذف حرف العلة (الياء).

ثالثا: بناء الفعل الامر على الفتح:

يبنى الفعل الامر على الفتح إذا اتصل به نون التوكيد سواء فذ لك : نون التوكيد الخفيفة نحو:اضربن وذاكرن ، أم نون التوكيد الثقيلة ؛نحو: اضربن وذاكرن فعند الاعراب نقول: فعل أمر مبنى على الفتح ؛ لاتصاله بنون التوكيد والفاعل ضمير مستتر وجوبا وتقديره : (أنت) ونون التوكيد :حرف مبنى على السكون أو الفتح (حسب نوع النون) لا محل له من الاعراب وقد اجتمعنا فى قوله تعالى :ولئن لم يفعل ما امراه ليسجنن وليكونا من الصاغرين "(262)

رابعا: بناء الفعل الامر على السكون:

يبنى الفعل الامر على السكون ،إذا كان:صحيح الاخر ولم يتصل بآخره شئ ؛ نحو الفعلين(خذ،واضرب)فى قوله تعالى : "وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث "(263)، فهما فعلا امر وهما صحيحا الاخر ولم يتصل بآخرهما شئ |؛ والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره :أنت ،أو اتصلت به نون النسوة نحو الافعال (أقمن

(260)يوسف 88

(261)هود ، 81

(262)يوسف ، 32

(263) ص44.

،آتين، أطعن) فى قوله تعالى :" وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله" (264)، فهى أفعال أمر مبنية على السكون لاتصالها بنون النسوة ويقال فى اعرابها فعل امر مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ، ونون النسوة ضمير مبنى على الفتح فى محل رفع فاعل .

أحوال بناء الفعل المضارع:

ذكرت ان الفعل المضارع هو الزمن الحاضر والذى يدل على حدوث الحدث فى الوقت الحاضر أو المستقبل له حالتان هما حالة البناء والاعراب ،يبنى الفعل على الفتح إن اتصلت به نون التوكيد كما يبنى على السكون ان اتصلت به نون النسوة ويعرب فيما عدا ذلك .

مواضع بناء الفعل المضارع:

يبنى الفعل المضارع فى حالتين هما: إذا اتصلت به نون النسوة ، ويبنى على السكون نحو الفعل (يرضعن) فى قوله تعالى:"والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة "(265)وإذا اتصلت به نون التوكيد المباشرة ويبنى معها على الفتح نحو الفعل (أكيد) فى قوله تعالى : وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين"(266)

(264)الاحزاب ، 33

(265)البقرة 233)

(266)الانبياء ، 57

الاعراب فى الافعال:

لا يعرب من الافعال إلا الفعل المضارع والمضارعة للشئ :أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه والمضارع من الافعال ما أشبه الاسماء وهو الفعل الأتى والحاضر(267)، وقد عرف الفعل المضارع بمشابهته الاسم ؛ لأنه لم يسم مضارعا إلا لهذا قال عنه الزمخشرى(ت:538هـ) هو ما اعتقب فى صدره إحدى الزوائد الاربع نحو: يفعل وتفعل وأفعل ونفعل ، ويشترك فيه الحاضر والمستقبل إلا إذا دخله اللام أو سوف(268) وجاء فى شرح المفصل :"وقد شابه الاسماء بما فى اوله من الزوائد الاربع وهى : الهمزة والنون والتاء والياء ؛ لأنها لما دخلت عليه جعلته على صيغة صار بها مشابها للأسم وقد أوجبت له تلك المشابهة الاعراب"(269) ويكون مرفوعا أو منصوبا أو مجزوما إذا انتفت شروط بنائه السالفة الذكر والمتمثلة فى عدم اقترانه بنون النسوة أو نون التوكيد ، قال ابن مالك رحمة الله :

ارفع مضارعا إذا يجرد من ناصب وجازم كتسعد

حالات رفع المضارع:

يكون المضارع مرفوعا حسب ما يأتى :

---

(267)ط : لسان العرب ، تاليف : محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور (ت: 711 هـ):دار صادر ، بيروت ط 3 ، 1414 هـ ، 8 : 223 (باب العين فصل الضاد)

(268)الانموذج في النحو ، تاليف : محمود بن عمر الزمخشري (ت : 538 هـ) اعتني به : سامي حمد المنصور ، ط 142 هـ ،1999 م ، ص 26

(269)شرح المفصل ، لابن يعيش (ت 643 هـ) عني بمراجعة مشيخة الازهر الشريف ، ادارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد منير عبده الدمشقي ، مصر ، 7 : 6 ، بدون تاريخ

أ–إذا لم تتقدمه أداة من أدوات النصب ب– إذا لم تتقدمه أداة من أدوات الجزم

علامات رفع الفعل المضارع

يرفع المضارع بالضمة الظاهرة إذا كان صحيحاً الاخر :يذهب ويأكل وينام ويكتب ، ويرفع بالضمة المقدرة على آخرة لتعذر النطق بها إذا كان المضارع معتل الاخر بالالف مثل : يرضى ويسعى وينهى وينأى ويرفع المضارع بالضمة المقدرة على اخره لاستثقال النطق بها إذا كان معتل الاخر بالواو مثل :يسمو ويرجو ويدعو ويعلو فيكون حينئذ :فعلا مضارعا مرفوعا والعلامة الضمة المقدرة على اخره منع من ظهورها استثقال النطق بها وكذلك إذا كان معتل الاخر بالياء مثل: يقضى ويجزى وينهى ويبنى.. وغيرها ويرفع المضارع بثبوت النون إذا كان من الافعال الخمسة مثل : تكتبين ،يكتبان ،تكتبان، يكتبون، تكتبون،فتعرب على انها :فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة .

حالات نصب الفعل المضارع:

يكون المضارع منصوباً إذا :

أ–تقدمته إحدى أدوات النصب :أن ،لن،إذن،كى .إن ذاكرت جيدا لن ترسب أريد أن أكرم المجتهد ،سأعمل بجد إذن تفوز بالجائزة اجر بسرعة كى تصل الى خط النهاية وتعرب الفعل حينها: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة فى آخره.

ب.وقع بعد لام الامر ويكون الفعل المضارع منصوباً بأن المضمرة جوازا نحو: افعل الخير لتفوز بالجنة واعدل بين أبنائك ليكون منهم البر والوفاء والفعل بعدها مضارع منصوب بأن المضمرة جوازا بعد لام التعليل:

ج–وقع بعد لام الجحود ويكون الفعل المضارع منصوباً بأن المضمرة وجوباً نحو قوله تعالى: ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب" (270)وقوله تعالى : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم "(271)، وقولك ما كان ليفوق الطالب لولا اجتهاده ،ويعرب الفعل يتفوق فعل مضارع منصوب بأن المضمرة وجوباً بعد لام الجحود وللتميز بينها وبين: لام التعليل يشترط أن تكون مسبوقة بكون منفى كما عرفت.

2–وقع بعد حتى الغائية (التى بمعنى:الى أن) نحو قوله تعالى : "وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر" (272)، وقوله تعالى "يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون"(273) وقولك :اعبد الله حتى تموت والفعل تموت :فعل مضارع منصوب بأن المضمرة وجوباً بعد حتى الغائبة .

(270)ال عمران ، 179

(271)الانفال 33

(272)البقرة 102

(273)النساء 3

3–وقع بعد فاء السببية وقد أطلق عليها فاء السببية لان ما بعدها يكون سببا لما قبلها ويشترط فى نصب الفعل المضارع بعدها ما يأتى:

–أن تسبق بطلب (أمر،نهى، استفهام) نحو:اجتهد فتنجح لا تهمل فترسب، هل عملت فتنجح ونحوقول الشاعر:

يا ناق سيرى عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

–أن تسبق بنفى نحو: لا يلعب العاقل بالنار فيحترق ، ولا يغفل المؤمن عن ذكر الله فيندم

4–وقع بعد واو المعية ، ويشترط فيها ما يشترط فى فاء السببية بأن تكون مسبوقة بنفى أو طلب نحو: لا تعد الناس وتخلف ونحو قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

علامات نصب المضارع:

1– الفتحة:

ينصب المضارع بالفتحة الظاهرة على آخره إذا كان الفعل صحيح الاخر نحو : لن ينجح الكسول أو كان معتل الاخر بالياء ، مثل لن يأتى الظلم بالخير، أو كان معتل الاخر بالواو ، نحو : لن يجفو الولد البار والديه تعرب : يجفو :فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على لآخره ، وينصب الفعل المضارع بالفتحة المقدرة على آخره لتعذر النطق بها إذا كان معتل الاخر بالالف

نحو: لن يشقى بجلساء الخير والفعل تشقى :فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على آخر منع ظهورها تعذر النطق بها

2-حذف النون :

ينصب الفعل المضارع بحذف النون إذا كان من الافعال الخمسة نحو : لن تذهبى ،لن تذهبا،لن يذهبا،لن تذهبوا، تقول فى اعراب تذهبا : فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الافعال وألف الاثنين فى محل رفع فاعل .

حالات جزم الفعل المضارع:

يكون الفعل المضارع مجزوما فى الحالات الاتية :

أ-إذا تقدمه جازم وجازم المضارع قسمين :

الاول: أدوات تجزم فعلا واحدا وهى: لم، لما، لام الامر ،لا الناهية ،مثل :لم يأت الطالب لقاعة الدرس ، جاء الصيف ولما نذهب بعد الى البحر ،لتشرب الدواء، لا تجادل بالباطل .

الثانى: أدوات تجزم فعلين مضارعين أولهما يسمى فعل الشرط وثانيهما يسمى جواب الشرط وجزاءه ومنها :إن، إذ ما، من ، ما، مهما ،متى ،أيان ،أينما، حيثما، أنى، كيفما، أى ومن أمثلتها: قوله تعالى: قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو

تبدوه يعلمه الله" (274)وقولك:إن تجتهد فى دروسك تنجح ،إذما تسافر تتعرف على العالم ، من يخلص يكافأ ما يفعل المرء من سوء يندم على فعله مهما تفعل الخير تفلح متى تذهب الى المسجد أذهب أيان تقرأ الكتاب تستفد أينما تقعد أقعد، أنى يفعل المعروف يكثر الحب بين الناس قال تعالى :أينما تكونوا يدركم الموت" (275)حيثما تكثر الكتب ينتشر العلم ،كيفما تأكل أى محسن يتصدق يفلح.

ب–إذا وقع جواب الطلب النهى والامر والاستفهام العرض والتحضيض والتمنى والرجاء، حيث يكون مجزوما بأداة شرط محذوفة نحو قوله تعالى :ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم " (276)وقولك :لا تكثر العتاب يكثر أصدقاؤك اجتهد فى دراستك تنجح بتفوق ، فهناك محذوف فى الجملة تقديره :إن لا تكثر العتاب يكثر أصدقاؤك ، وإن تجتهد فى دراستك تنجح تقول فى تنجح :فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره ،لأنه وقع فى جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، وشرط جزم المضارع بعد أداة الطلب (لا الناهية) أن يصح لنا أن نضع (إن) قبل(لا) من غير أن يفسد المعنى ففى المثال السابق يستقيم أن نقول: إلا تكثر العتاب يكثر أصدقاؤك وهذا شرط لا بد منه لجواز الجزم بعد النهى ؛ وعلى هذا لا يجوز الجزم إذا قلنا : لا تصنع المعروف فى غير أهله تندم لأنه لا يستقيم أن تقول :

---

(274)ال عمران 29

(275)النساء 78

(276)المجادلة 11

إلا تصنع المعروف فى غير اهله تندم وفساد المعنى ظاهر ،أما شرط الجزم بعد غير النهى من انواع الطلب هو صحة المعنى بوضع إن وفعل مفهوم من السياق موضع ما يفيد الطلب فعند قولنا :احترم الناس يحترموك ، وقولنا واس الفقراء يحبوك فإن المقدر :إن تحترم الناس...وإن تواس الفقراء ... وهكذا فى بقية أنواع الطلب الاخرى

-علامات جزم المضارع:

للمضارع علامتان عند الجزم :الاولى حذف حرف العلة وذلك إن كان منتهيا بحرف علة لا فرق حينها بين الالف أو الواو نحو:زيد لم يسع الى تحصيل العلم ، ولم يجر سيرة المجتهدين ، ولم تعل همته الى نيل التفوق فالافعال(يسع ويجر وتعل) كلها افعال مضارعة مجزومة والعلامة حذف حرف العلة نيابة عن السكون.

الثانية: حذف النون وذلك إن كان من الافعال الخمسة ،رفعا ونصبا وجرا نحو: قوله تعالى : قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله"(277) فالفعلان (تخفو وتبدو) مجزومان والعلمة حذف النون لأنهما من الافعال الخمسة وكذلك فى الرفع والنصب.

(277) آل عمران 29

الفهرس

-أولاَ:الأدب

- ماهية الأدب.....2

- نصوص مختاره من الأدب العربى.....20

- خطبة قيس بن ساعده الإيادى 30

-علية بنت المهدى.....48

-المرأة فى شعر المعتمد بن عباد.....84

-ابن الفارض.....118

-غرناطه.....175

-من نص مصر تتحدث عن نفسها لحافظ ابراهيم.....177

-ثانياً: النحو

-البناء والإعراب 183